LASHEEN
ZOHARY

شيرين هنائي

لاشين

الكتاب الرابع عشر - الزوهري

رواية

سور الكتب

لاشين_الكتاب الرابع عشر_الزوهري
شيرين هنائي.
رقم الإيداع: 2024-14576
الترقيم الدولي: 978_977_8896_01_5

جميع الحقوق محفوظة © **كتوبيا للنشر والتوزيع**

يمنع منعا باتًا الاقتباس أو إعادة النشر سواء بالطباعة أو النشر الإلكتروني أو التصوير الضوئي للمحتوى أو أي جزء منه إلا بإذن كتابي من الناشر

+201005432405
kotopia
info@kotopia.org

كتوبيا
للنشر والتوزيع

العنوان: ١٤ شارع أبو نواس - ميامي - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

يمكنكم طلب إصداراتنا عبر متجر كتوبيا الإلكتروني
https://kotopia.store

إلى الأعزاء:

م. أيمن حويرة ونهى عودة.. لكما الفضل الأكبر بعد الله سبحانه وتعالى. أشكركما.

ا. عمرو يسري.. البداية كانت من أوديوهات العزيزة.. شكرًا لك ولها.

الفنان الدكتور محمد خميس.. إيمانك بالشخصية، وأداؤك لها أضاف لها الكثير.

إلى زوجي.. صديقي..شريكي..

أحبك.

شكر خاص:

لجامعة برشلونة، ولمركز جوزيف بانكس راين، وللجمعية الروحانية البريطانية على جهودهم المستمرة في التعليم ونشر المعرفة.

السيد إد وارن وزوجته السيدة لورين وارن.

الدكتور محمد أحمد خالد توفيق.

مقدمة

أنا.. لاشين.

لا شك أنها الحقيقة الأهم التي يجب عليك استيعابها، إلى جانب كوني الأول، والأخير. ولتحمد الله على هذا. فالعالم لن يتحمل معرفة حقيقة ما مررت أنا به، ولا ما تسببت فيه، ولا ما أصبحت عليه.

أي لاشين آخر لا يُعوّل عليه، سواء كان من عائلة الدجّال الأشهر في طنطا: الشيخ لاشين، أو كان من خارجها. أي لاشينٍ آخر عليه أن يتوارى حتى تنتهي الأزمة التي تسببتُ فيها عمدًا وبلا قصد.

هل يستأهل الأمر أن أحكي؟ لم أدرك ضرورة ذلك إلا مُتأخرًا، وكأنه لا زال بداخلي ما يشفق على البشر ومصيرهم لو ظلوا على جهلهم. وأحيانًا ما أرى أن الجهل نعمة، فلو أن رصاصة خرجت من مسدس لتصيبك بعد كسر من الثانية، فبماذا ستستفيد لو عرفت أنها انطلقت؟ لا وقت للفرار، ولا لصلاة أخيرة.

لكنني سأحكي.. كفعلٍ بشريٍ أخير، ولأنني وعدت سهير زاهر، سأحكي.

شخصيات السلسلة

لاشين: مهندس كهرباء ساحر يلتم الشياطين ويكتسب قوتها.. وشرها.

سهير: مصورة فوتوغرافية لديها قدرة باراسيكولوجية اسمها «ثوتوجرافي»، إذ تستطيع تصوير الأشباح والشياطين بأي وسيلة متاحة. وهي حبيبتي بالطبع التي لن أتركها لزوجها السمين الكئيب.

أسامة: زوجها السمين الكئيب، مدرس في كلية آداب طنطا قسم علم النفس. لا أنكر أنه يحب سهير للغاية، لكنه كما ذكرت سمين وكئيب ورخو.

شريف: ابن سهير وأسامة، زوهري مثل جده، يستطيع التواصل مع الجنّ بسهولة لطبيعته الزوهرية، متمرد، جميل الخلقة كأمه.

رانيا: ابنة سهير وأسامة الكبرى، ووالدة عُمر الذي ورطنا جميعًا مع شيطان الرعب. لا شخصية لها، طويلة كأبيها، مُحبة للنّكد مثله.

مهدي أبركان: ابن ديهيا الأسود، ليس من نسلها، إنما هو زوهري مغربي، قاتل سحرة متسلسل، ليس شريرًا ولا طيبًا، لذلك هو مهم لأسباب تطول شرحها.

مهاب: مذيع صار مشهورًا نوعًا بعد برنامج بعد منتصف الليل، تورطت عائلته من قبل مع شيطان الرعب وفقد أخاه

الأصغر عمرو بسببه، جده عمارة قابيل كان عالم روحانيات تسبب في فتح أول بوابة لعبور الشياطين واكتشف طريقة للتحاور معهم عبر مايكروفون عتيق.

حسن: المراهق، صديق عمرو شقيق مهاب، والآن صار في مكانة عمرو وجزءًا من عائلة سهير الممتدة. أنا أحبه بشكل شخصي وأتمنى لو كان ابني.

الحاج مدحت: عم سهير زاهر.

الحاجة مريم: ابنة عم والد سهير زاهر، وزوجة عمها.

ديهيا: أقوى ساحرة على وجه الأرض، وأنا – لاشين- من نسلها.

-١-

منذ أشهر.

سيوة.

الجو حارٌ، لكنّ تلك الرقعةَ من الصحراءِ عاصفة في حد ذاتها، كأنّها رقعة من المريخ على الأرض.

الرمالُ البرتقاليّة تدور حول مركزٍ حالكِ السواد. الكيان في المنتصف طولُه يزيد عن ستة أمتار، يزحف على مفصلي جناحين كما تزحفُ الوطاويط، ينبثُ من منتصف جناحه كفٌ يمسك رُمحًا.

يتوقّفُ مركز العاصفة، وينتصب الكيان واقفًا، مُتّكئًا على عصاه أمام شابٌّ في سنّ المراهقة، تمزق جسدَه وشلِخ جلدَه، لكنه حيٌّ. يفتح الشاب فمه فتتدفق منه الدماء. تصدر عن حنجرته كلماتٌ مختنقة، قبل أن ينهار تمامًا، وتتفسخ أوصالُه كاشفة عن كيانٍ آخرَ حالكٍ، ذي قرنين هائلين وجناحين مرتفعين، وذيل مضفور يضرب به حوله.

- ذا الرمح. لا وقت. أريد ساحرًا ذا عهد.

- المقابل؟

- دم زوهري مريد الصالحين كل دورة قمر.. بل ما هو أكثر بكثير..

- الضمان؟

- لا ضمان. يكفي أنني لن أخبر مامون.

- أنت ممنوع من العودة إلى العالم الظلمات.

- لكني لن أعجز عن توصيل رسالة له.

يدور ذو الرمح متكئًا على رمحه حول الشيطان الذي لا تستطيع اللغات كتابة اسمه الحقيقي، والمعروف في الشرق باسم جبر، ثم يقول:

- وأنا لن أعجز عن توصيل خطتك له، ولكاهنة الأوراس، وللاشين.

- اتفقنا إذًا.

يضرب ذو الرمح قرني جبر برمحه فيُطلق الشرر، ويترك علامة عليهما، ويترك القرنين علامة عليه. هذا هو اتفاق الشياطين.

تدور الرمال أسرع، ويتحلل الجسد البشري والكيان الداكن المدعو جبر ليعود الأخير إلى هاتفٍ محمولٍ كان مع المراهق، ويتركا ذا الرمحِ في الصحراء، يزحف على مفصلي جناحيه بسرعة تسبب الجنون لأي بشري يراها.

-٢-

أوائل سبتمبر ٢٠٢٣

طنطا.

يفتح شريف محفظته ليدفع حسابَه وصديقه سيف، فلا يجد إلا مائتي دولار. ينظر سيف إلى ما في محفظة شريف في فضول ويقول له:

- سأدفع أنا، وأعرف من يُبدِّل لك الدولارات بسعر ممتاز.

زفر شريف وأعاد محفظته إلى جيبه، وراح ينظر إلى الطريق خارج مقهى بوخاريست المجاور لفندق رويال طنطا حيث يقيم منذ ترك بيتَ سيفٍ بعد أسبوع من طلاق والديه.

يشعر شريف بالبرد، وعزا هذا إلى نحولِه والرعشة التي لا تترك جسده منذ اعتاد تعاطي الحشيش. لكنني أنا سبب هذه البرودة والرعب الذي أقلق مجلس سيف، فقال لشريف:

- لا أعرف ماذا دهاني. لنرحل.

- سأبقى قليلًا. اذهب أنت.

- ألن تحضر الجلسة اليوم؟

- لا زالت الساعة الثامنة. سأمُر عليك لاحقًا.

رحل سيف بعدما أخذ المائتي دولار. انتظر شريف حتى ابتعد سيف، ثم خرج يسير على هدى شعور يجتاحه. شعور بوجود مال في مكان قريب.

عاش شريف منذ طلاق والديه على موهبته كزوهري، الشعور بمكان وجود المفقودات الثمينة، وأماكن الكنوز المدفونة. كان يقبل المصروف الذي ترسله له رانيا عبر محفظته النقدية، على اعتبار أنه يعيش مع صديقه سيف وزملائه في شقة الطلبة المغتربين قرب الجامعة، لكن شريف لا يتحمل وجود شخص آخر في حياته، حتى صديقه سيف..

حتى أخته..

حتى أمه.

ظل يفكر في حياتي –أنا لاشين- باعتبارها النموذج الذي يطمح إليه. لقد كفر شريف بمبادئ العائلة والمحبة. محاها أبوه بشكّه في حبيبة عمره، وإحراج ابنيه أمام الجميع، وهربه من كل شيء واختفائه وسط عائلته في دسوق.

ماذا عن سهير؟ سهير بالنسبة لشريف لا تقل جرمًا عن أبيه. هل البرنامج والكتب وموهبتها أهم لديها من الحفاظ على بيتها؟ هل أحبّت أباه حقًا؟ لماذا أخفت عنه حقيقته كزوهري، ومارست معه ما تنفر بسببه من زوجها، جعلته إنسانًا عاديًا ومنعته حتى من إنقاذ ابن أخته.

سار شريف حتى نهاية الشارع، ثم انعطف يمينًا وتوقّف أمام بوابة عمارة مفتوحة. دفع الباب ودخل ليرى على ضوء المصباح الفلورسنت الضعيف حقيبة صغيرة. هذا هو ما كان يشعر بوجوده.

مَالَ يأخذها، فشعر بيد توضع على يده. أجفل، ورأيت لون عينه اليُمنى يبيض قليلًا. هذا الولد يتحوّل إلى زوهري فعّال بعد سنوات من الكبت.

- أنتَ؟

- نعم، أنا.

- ماذا تريد يا لاشين؟ ألم أحذرك من الاقتراب منا مرة أخرى؟

قلت له وأنا أحمل الحقيبة -حقيبتي- وأعطيها له:

- الفندق الذي تقيم فيه ليس على بابه جهاز كشف عن الأسلحة. أبقِ هذا معك.

فتح الحقيبة ليرى الخنجر المزدوج الذي كان ضمن حاجيات مهدي أبركان، والتي أعطاها لي الحاج مدحت بعد مغامرتنا في دهب مع مصباح إلفام(1).

- لست ممن يمسكون مقود الدرّاجة لأبنائهم أثناء تعلمهم القيادة..

- لست ابن أحد.

- .. لكني أمنَح الدرّاجة، وربما أشير إلى الطريق. لو أنك ستستمر فيما تفعل، فأنت في حاجة إلى ما تدافع به عن نفسِك في عالمٍ لا تفلح معه اللكماتُ والأسلحة النّاريّة. ستجد في الحقيبة حِجابَ الزوهريين، وهو يعمل كبطاقة تعريفٍ لك في هذا العالم. لن يقتلك الجانُّ ولا الزوهريون، لكنهم قادرون

على إيذائك. أما الشياطين والسحرة، فأنت بالنسبة لهم هدف مكشوف.

ظل شريف يحدق إليّ ولون عينيه اليمنى يعود إلى طبيعته. أعرف أن ما قلته أقلقه. ملامح أمه جليّه في وجهه، أرى سهير أمامي، وللحظة أبحث عن ملامحي أنا في وجهه فلا أجدها.

لو أنني تزوجت سهير منذ التقيتها لكان شريف ابني.

- شكرًا. عمومًا أنا لم أعد أقابل مهدي. لقد اختفى منذ ما حدث في دهب. لا أعرف إن كان نجا من الغيبوبة التي أصابته جراء كسر مصباح الأمنيات.

- نجا. الفوضى التي حدثت بعد عودة شيطان الرعب إلى عالم الظلمات تحتاج وقفة. هو منشغل لا أكثر، لكنه لن يتركك.

- دع لي الدراجة والمقود، وسأختار الطريق.

ابتسمت ونهلت من وجهه ما استطعت، ثم تراجعت إلى الظلام واختفيت.

أخرج شريف الحجاب والخنجر المزدوج، ووجد المال الذي تركته له في القاع. نادى على اسمي وهو يعرف أنني رحلت، ويعرف أنني أراقبه.

- شكرًا..

خرج شريف إلى الشارع، يفكر فيما ينتظره الليلة، وما

ستكشف له عنه رحلة البوابات النجمية.

***

يقولون أنّ الحشيش يُستخدم في بعض جلسات التأمل، وفي أثناء ممارسة بعض الطقوس الدينية، ليُجلي الأحاسيس ويساعدَ على التخلي عن الجسد المادي بثقله وضلاله، ليسمو الإنسان فوق المادية ويعرف الحقيقة.

وأنا أؤكد أنّ كلّ هذا هراء.

لا يسمو الإنسان فوق الماديّة والضلال سوى بالحفاظ على ما بينه وبين الله، وبلا حاجة لعقاقير أو مخدرات أو طقوس خاصة يجريها في الصحاري كما يحاول سيف إقناع شريف الآن.

- يقوم المُعلّم سركسيان بجلسات رائعة هناك للتواصل مع النّفس الحقيقيّة. تكلفة الجلسة خمسون دولارًا. (يا بلاش.)

- وكيف سيساعدني هذا فيما أنا فيه؟

- بالطبع سيساعدك. أنت تقول أنّك زوهري، ولك أهل من الجنّ. هل تتذكر ما رأيته في الحلم الذي حلمت به في دهب؟

يقصد سيف الهلوسة التي أصابتنا هناك، وما رآه كل منا على حِدة من احتمالات مختلفة لمسارات حيواتنا. رأى شريف نفسَه وقد درس الطبّ النفسيّ، واستسلم لزوهريته وراح يعالج الإنسَ والجنّ، واضطر إلى الاختيار بين العيشِ مع البشر، أو التخلي عن ماديّته والتمتع بكل قوى الزوهريين.

- اسمع يا شريف، لست مضطرًا مثلي للحفر في الصخر. أنت تجد المال بلا تعب، ولديك قدرات تجعلك ملكًا، فلا تبخل على نفسك بكل هذا. أنت جربت الحشيش على مسؤوليتي، ما رأيك؟

ما رآه شريف تحت تأثير الحشيش استعبَده. رأى أماكنَ لم يكنْ ليراها ولو عاش مائة سنة، رأى أزمنة سحيقة، ومستقبلًا بعيدًا. رأى يديه محاطتين بدوائرَ ملونة تدور بلا توقُّف، لو لمسَ بها جمادًا أصلحه، ولو مسّ بها حيًا شفاه. سمع أصواتَ ذِكرٍ ليس لها مثيل، تصدح من حناجر غير بشريّة، ورأى أنوارًا تطوف بالمساجد، وألوانًا ليس لها من وصف عند البشر.

إن كانت هذه هلوسة، فقد عشقها، وإن كانت حقيقة، فلماذا لا يسعى إليها؟

يأخذ شهيقًا آخرَ محملًا بدخان الحشيش.

يقول سيف أنّ الحشيش لا يسبب الإدمان، لكني أعرف أنه يسبب الاعتماد النفسي عليه، ويدمر الصحة، وأعرف أنّ هذا الحشيشَ نقيٌ غير مخلوط بالحناء، وهو أمر يصعب الحصول عليه، لكن سيف يعرف من أين يشتريه، ويعرف أنّ لدى شريف مالًا قد لا ينفد لو أراد الأخير هذا.

يفتح سيف لابتوب قديمًا يعرض عليه فيديو من موقع تيكتوك، ثم يدس سماعتين في أذني شريف الذي يشعر بخدر لذيذ.

- اسمع هذا.. للاسترخاء كما طلب سركسيان.

فينصت شريف ويغمض عينيه، ويهيم في عوالم غير ممكنة.

***

يونيو ٢٠١٠

طنطا.

يجلس شريف على الأريكة الكبيرة في ستوديو زاهر، يمسك هاتفَ أمّه المحمولَ، ويلعب لعبة الثعبان في تركيز شديد. خصلات شعره الأسود الفاحم منسدلة على جبينه، تداعبها مروحة الحائط المعلّقة فوق صور الزفاف والخطوبة في المدخل.

يدخل رجل أنيق خمسيني ويسأل شريف:

- أين مدام سهير يا (شاطر)؟

يشير شريف إلى حجرة التصوير الداخلية ويقول:

- تصور بالدّاخل. سوف أناديها لك.

- لا داعي.

يقترب الرجل خطوتين من شريف، فيجفل الولد، لكنه يكتشف أنّ الرجلَ يقترب ليرى بوضوح الصور المعلقة فوق رأسه. صور الموالد. أخرج الرجلُ من جيبه محفظته، ثم راح يبحث في جيبه عن شيء آخر. قال لشريف وهو يناوله المحفظة:

- أمسك هذه لو سمحت.

مدّ شريف يده تلقائيًا، فقبض عليها الرجل وراح يفحص كفّه. صرخ شريف:

- ماما!

فخرجت سهير على الفور وخلفها شابٌ كانت تصوّره. نظر إليهما الرجل وقال باسمًا:

- ابنك (خوّاف) يا مدام سهير.

لفّت سهير ذراعيها على كتفي شريف وهي تقول:

- ابني حريص. أي خدمة؟

- صورة. أريد صورة لجواز السفر.

- سأغلق الستوديو الآن. في آخر الشارع التالي جوار الصيدلية ستوديو آخر.

هزّ الرجل رأسه، وقبل أن يرحل نظر إلى شريف، ثم استدار مبتعدًا.

من يومها، ولثلاثة وعشرين عامًا تالية، لم تطمئن سهير قَط إلى خروج شريف بمفرده. شيء في نفسها كان يخبرها أنّ الرجل الذي زارها في الستوديو كان يريد سوءًا بشريف، لكن لا كأيّ سوء.

شريف طفل مختلف.

وُلِد شريف في عيادة خاصّة، وقد توقف قلبه بعد الولادة

لدقيقة ونصف قبل أن يعود إلى الحياة مرة أخرى ويُنقل إلى الحضّانة ابنَ سبعة أشهر.

حكت لها الممرضة في الحضّانة أنّ شريف ذو بركة. كانوا قد وضعوه في حضّانة مجاورة لأخرى فيها وليد في حالة خطرة. في الليل رأت الممرضة نورًا خافتًا ينبعث من جهة شريف، فهرعت إلى هناك لتجد الولد الآخر قد شُفي بمعجزة من الله.

- ابنك ذو بركة يا مدام.

ومدّت يدها لسهير تأخذ منها حلوان البشارة.

ثم جاءت الحاجّة مريم لترى المولود وتشاركَ في حفل سبوعِه. حملته بين ذراعيها ضاحكة مستبشرة، ثم خبت ابتسامتها وهي تمسك بيده الصغيرة المحمرة وتفحص باطنها.

سألتها سهير عما بها، فابتسمت مرة أخرى وقالت:

- ابنك ذو بركة يا سهير. ورث الشامة عن كف أبيكِ.

ثم تبادلت النّظرات مع زوجها الحاج مدحت، فضحك الأخير وبرز سنّاه الأماميان وهو يضرب على فخذ أسامة ويدعو له بالبركة في المولود، وأن يكون له حظٌّ من اسمه.

تعرّض شريف لمحاولة اختطاف ثّلث يوم الستوديو. كانت سهير يومها في القاهرة لتصوير أحد الأفراح، وكان أسامة يطهو الغداء وفوجئ أنه يحتاج إلى مرطبان صلصة.

طلب من شريف ذي الثمان سنوات أن ينزل لشراء علبة، فنزل الأخير ووقف أبوه في الشرفة يراقب تحرّكه وسط الشارع الهادئ. أتت سيارة صغيرة مسرعة من ناحية الطريق العمومي، ونزل منها رجل وهي تسير بعد، وجذب شريف إلى داخل السيارة.

صرخ الولد، وهرع أسامة ينزل الدّرج وهو ينادي على ابنه. انطلقت السيارة بضعة أمتار ثم اصطدمت بشيء وانبعجت مقدمتها. فتح أسامة الباب الخلفي وأخرج ابنه، ثم أخرج مَن كان يجلس إلى جواره وراح يلكمه حتى انمحت ملامحه.

تحلّق المارة حوله، وفصلوا بينهما، وجاءت الشرطة، وحُبِس الرجلان اللذين اعترفا بمحاولة خطفه للعمل في التسول في محافظة أخرى نظرًا لجمال ملامحه.

وظلّ السؤالُ الذي عجز الجميع عن الإجابة عنه. فيمَ اصطدمت السيارة؟ بدا لعبدِ الله مرجان، صاحبِ الجزارة عند المنعطف، أنّ السيارة ارتطمت بحاجز شفاف. وقال شاهدٌ آخرُ أنّ صوتَ الارتطامِ كان غريبًا، سبقه صوت فرقعة.

قال مرجان لأسامة أول الشهر وهو يلفُّ له اللحم في كيس:

- حمدًا لله يا دكتور على سلامته. ابنك ذو بركة. (خلّ عنّك)

لم تشأ سهير أن يكون لابنها أيّ بركة، ولا أيّ ميزة. هي التي عاشت طفولتها ومراهقتها مدفوعة لإنكار ما تراه وما يحدث معها، ثم رزقها الله بابنة ترى أشباحًا، ثم.. ثم ابن مبروك..

ابن يشفي الألم إن مسّه. ابن يُدفَع عنه السوء بقوى غير مرئية. ابن ملائكي الطباع والطلّة.

لم يعرف أسامة أيًّا من ، لكنّه شعر به، وكان يخشى ما تخشاه سهير تمامًا. يعي أسامَة أنّ زوجته مختلفة، ويقبَلها ويحبُها كما هي، لكنّه لا يرغب في أن يظهر هذا الاختلاف بطلًا في حياتهم.

ثم ظهرت –أنا لاشين- وظهر معي مهدي الذي عرّف شريف حقيقته في إحدى حلقات برنامج بعد منتصف الليل.

قال له مهدي أبركان في المكالمة: «أنا اتصلت فقط لتوعية كل أبٍ وأمٍّ لديهما ابن زوهري كي ينتبهوا له، ولأخبرهم أن مملكة ديهيا ملجأ وأمان لأمثالهم.»

وعاد الشعور بالخطر لسهير وأسامة. ما الذي أوقَف السيارة التي كادت تخطفه؟ هل هو زوهري حقًا؟ كيف ولماذا؟! لماذا اتصل مهدي أبركان بالبرنامج في هذا التوقيت بالذات؟ ليوعيَ المستمعين، أم ليُلمِحَ لشريف بمكانه عند ديهيا؟

في أثناء محاولة سهير منح شريف فرصة الحياة بشكل طبيعي، ووقوفها في وجه تقييد أسامة لحركته وقلقه الزائد –ولديه حق- أفلت الزمام من يدها، وتفككت العائلة التي كانت ملجأ شريف الحقيقي والمكان الذي يعود إليه.

والآن، وبعد أشهر من انفصال سهير وأسامة، أعرف –أنا لاشين- أنّ شريف الذي يشبه الدمى الرقيقة، ابن حبيبتي الصغيرة، في ورطة مُهلِكة، ولا أستطيع حمايته.

-٣-

مسجد السيد البدوي

أكتوبر ٢٠٢٣

يغسل خادم المسجد أبسطته في الخارج بخرطوم مياه ومكنسة. الماء والصابون ينزلق إلى بالوعة قريبة. يقول لنفسه أنّه سيُنهي مهمته قبل صلاة العشاء، ثم يصلي وينام.

جذب البساطَ الأخير المغطى بالأتربة، ولم يكن يذكر أنّه أخرجه من غرفة الشيخ طاهر التي لم يدخلها أحد منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا، منذ خرجَ الشيخ ولم يعُد. لا بدَ أنّ أحدَهم أخرجها، فقد سمع أنّهم سيستغلون هذه الغرفةَ في دروسِ تحفيظ القرآن.

شرع يصبُّ الماءَ فوقَ البساطِ الأخضر، وقبل أنْ يرش الصابون عليه، شمّ رائحة مسكٍ قوية. انحنى مقربًا أنفه من البساطِ فتأكّد أنّ الرائحة تصدر منه. شعر برعدةِ برد، فأغلق الماء المتدفق من الخرطوم، وردّد دون تفكير آية الكرسي.

لماذا يشعر بهذا الخوف؟!

رأى رجلًا ملثمًا ذا لحية بيضاء تتدلى من تحت لثامه، يرتدي عباءةً خضراء يقترب منه ببطء ويقول بصوت عميق يفيض بالسكينة:

- لا تخف يا بني. ادخل المسجد الآن.

نظر الخادم حوله إذ لاحظ أنّ أضواء الساحة الخالية تخفت. المصابيح تتراقص ثم تنطفئ.

- م.. م. من أنت يا شيخنا؟

- الشيخ طاهر.

ثم ابتسم فتجعدَ ما حول عينيه، وأضاف:

- لا تخبر أحدًا. هيا إلى داخل المسجد.

انطلق الرجل الخمسيني إلى المسجد، ينزلق في الماء ويقوم بسرعة. الرعب يتملّكه. يحوقِل ويبسمِل ويردد المعوذتين. يسقط في الماء مرة أخرى. ينظر خلفه ليرى الظلام مُجسّدًا ثلاثيَ الأبعاد يزحف على الأرض من الجهات الأربع.

راح يصرخ ويحبو حتى دخل المسجد. التفت إليه الجالسون بالداخل في انتظار صلاة العشاء، فصاح فيهم:

- لقد عاد الشيخ طاهر!

ثم أمسك صدره ورفع إصبعه إلى السماء، ثم خر ميتًا.

***

لم تستطع سهير مواصلة يومها الطبيعي-إن كان شيء كهذا ممكنًا الآن- من كثرة الاتصالات والقرع على باب شقتها، والاحتشاد أمام ستوديو زاهر.

تستسلم أخيرًا وتستقبل مجموعة من رِجال الحضْرة

المعروفين لها من أيام تصوير الموالد.

جلس الرجال الأربعة في الصالون وتركت باب الشقة مفتوحًا. قال أكبرهم سنًا:

- نأسف لهذه الزيارة المفاجئة. ما حدث حول المسجد ليلة أمس لا يُصدَّق.

قال آخر:

- نحن نعرفك يا مدام سهير منذ سنوات طويلة، وقيل لنا أنّك تخصصتِ في أمور مشابهة لما وقع أمس. واستشعر الناس الحرجَ من زيارتك، فطلبوا منا النيابة عنهم.

أضاف الأول:

- هل تعرفين الشيخ طاهر؟

أجابت سهير:

- كنت أسمع عنه ولم أره، وقرأت.. قرأت كتابًا يذكر فيه أحدهم أنّه جلس معه، وزعم أنّه رآه في مكان ما في سيوة. صديق مقرّب أثق فيه قال أنه قابله في المحلّة. هذا كل ما أعرفه عنه.

- الشيخ طاهر ولي من أولياء الله الصالحين، واختفى من المسجد منذ ثمانية وثلاثين عامًا، واحتفظنا بحجرته الصغيرة التي بناها في أحدِ أركانه. اعتاد محبوه زيارتها من وقت لآخر، حتى قلّ التوافد عليها واحتاج المسؤولون عن المسجد إليها.

عاد أكبرهم سنًا يلتقط طرف الحديث:

- كان خادم المسجد يغسل بعض البُسط ليلًا قبل العشاء، ورآه المصلون يدخل مبتلّ الملابس مذعورًا وهو يصرخ أنّ الشيخ طاهر قد عاد، ثم انتقل بعدها مباشرة إلى الرفيق الأعلى، رحمه الله وتقبله في عباده الصالحين. المهم، خرج الرجال ليروا ما يتحدث عنه. كانت الساحة مظلمة تمامًا، خالية على غير عادتها، وفي منتصفها يقف رجل ذو عباءة خضراء يردد آيات من القرآن الكريم، فتعلوا أصوات لم يسمع مثلها أحد من قبل.

- أصوات بين الفحيح والصراخ كما قالوا.

- رأى الرجال النار تشتعل في الماء من حوله، لكن لم يمسسه منها سوء.

- ثم بزغت من الأرض شعلات لهب خضراء تطول وتقصر، تتجسد على هيئات مختلفة، بشر، حيوانات، طيور، كائنات مختلطة ببعضها، وراحت تهاجم كتلًا من الظلام الحالِك.

- وبينما هم مشغولون بمتابعة هذا، يبدو أنّ أحدًا قد تسلل إلى غرفة الشيخ طاهر وحفر أرضيتها. لا نعرف السبب.

سألت سهير وقد لفت الأمر انتباهها:

- وماذا حدث للشيخ طاهر بعد هذا؟

- اختفى مع تلك النيران الخضراء بعدما أنهى على الكتل السوداء. انظري..

أخرج الرجل هاتفه المحمول لترى سهير صورًا للساحة مُصوّرة على ضوء الكشافات. على الأرض انطباعات سوداء محترقة وآثر مخالب.

- خفّت هذه الآثار تدريجيًا خلال ساعات. ما قولك فيما حدث؟

هزت سهير كتفيها وأجابت:

- لا أعرف. هذه آثار شياطين مقتولة. اللهب المتراقص الذين حكوا عنه، قرأت أنّه جانٌّ، ولا أعرف شيئًا بالطبع عن الشيخِ طاهر أو سببِ ظهوره، أو ما كان تحت أرضية غرفته.

قال الأكبر سنًا:

- الشيخ طاهر صاحب خطوة وذو بركة. أنا أقول أن شياطينَ كانت تريد بالمسجد سوءًا فدفعها عنه.

أجفلت سهير لدى سماعها تعبير (ذو بركة) وتذكرت ابنها الغائبَ الذي لا تعرف عنه إلا ما يجود عليها به في مكالماته مع أخته. حاولت رؤيته عن بُعد باستخدام الحجرين اللذين يساعدانها في الاستبصار، لكنها عجزت عن رؤية أي شيء. هل لهذا علاقة بكونه زوهريًا؟

أعرف –أنا لاشين- أنّ نظر سهير تأثّر بمحاولات الاستبصار المتكررة، لكنها لم تكف يومًا عن محاولة معرفة أيّ شيء عنه. سألت عنه صديقه سيف، وطمأنها عليه، وأكدّ لها أنّه يسكنُ معه في شقة الطلبة المغتربين، لذا كبتت حزنها في صدرها،

وانتظرت.

سهير تشعر بالخزي لأنها تركت علاقتنا تدمر أسرتها. تشعر بالذنب في كل ثانية تمر عليها.

سهير تضمر وتخفت..

- لا أعرف شيئًا عن بركات الأولياء يا سيدي إلا ما كنت أسمع في الموالد. لا أنفيها ولا أؤكدها، لكني لم أرَ شيئًا بعيني.

- هل تنصحين بشيء؟ من أرسلونا لك ينتظرون نصيحة أو تفسيرًا.

- أنا مؤمنة أنّ أيّ مكان يُذكَر فيه اسم الله محصن بإذن الله من الشياطين. أعتقد أن ما حدث لن يتكرر لأنّه وقع لرغبة طرف من الأطراف في الحصول على ما كان تحت أرضية غرفة الشيخ طاهر. ربما يكون هذا الشيء خطِرًا لو وقع في أيد غير أمينة، وربما لا. لن نعرف الآن وربما لن نعرف أبدًا. المهم، لا أنصح بفعل شيء.

رحل الرجال وقد تأكّد لديهم أن سهير لا تفقه شيئًا في هذه الأمور النورانيّة، لكنهم أبلغوا ما قالت لمن سألوها النصيحة، وبدا أنّ عددًا منهم قد اقتنع.

هؤلاء هم متابعو البرنامج وقراء كتبي الذين يعرفون ما هي الشياطين ومن هو الشيخ طاهر وأنني التقيته وأنا صغير في مسجد السيد البدوي وأحببت صحبته كثيرًا، وكيف ظهر لي في رحلتي إلى مملكة ديهيا بعد أعوام من اختفائه، وأنّه ظهر

لمهاب أمام ثيو بيته حيث بوابة الشياطين التي عبر منها شيطان الرعب.

للشيخ طاهر علاقة بالشياطين وبوابتها، فلماذا عاد الآن؟

***

-٤-

أكتوبر ٢٠٢٣

منتجع خاص

بعد صيام أسبوع كامل إلا من الماء، يقوم شريف واهنًا لينتقل إلى قاعة التأمُّل حيث المُعلِّم سركسيان.

القاعة مستديرة، مصنوعة من الأخشاب بالكامل، ومعطّرة ببخور غير مألوف لشريف ولا لصديقه سيف، الذي يرتدي مثل صديقه مئزرًا أبيضَ من الكتان.

يجلس شريف متبرعًا إلى جوار سيف، الذي بدا عليه الاضطرابُ، لكن المُعلِّم سركسيان قد أخبرهما أنَّ هذا من تأثير الصيام وزيادة شفافية الجسد.

مال سيف على شريف وهما في انتظار المُعلِّم وهمس:

- شريف. أحيانًا أشعر بذعر مما أفعل. ما الذي جاء بنا إلى هُنا؟

- ماذا تعني؟

- لا أعرف. هل أنتمي حقًا لهذا المكان وهذه الطقوس؟ أسأل نفسي الآن مِمَّ أهرب؟ من مصير مجهول أسود بعد التخرج؟ من حياة أعرف أنَّها ستركلني من هذا الرصيف إلى ذاك كأنني أستجدي منها ثمنَ تعبي؟ من قريّة يعيش فيها الجميعُ حيواتِ بعضهم، ولهم مطلقُ الحرية في اللوم

والتقريع والمقارنة والإحباط؟ هل سيجدي ما أفعل الآن، أم أنني فقط أعيش وهمًا مؤقتًا خلوًا، على حساب صديق ثري؟

تساؤلات مهمة، لكن هذا ليس وقتها. شريف أقنع نفسه منذ زمن أنه لا يهرب، بل يرتقي، يبحث عن ذاته بعيدًا عن القيود. سيف صديقه منذ العام الدراسي الأول في الجامعة. بسيط الحال، طموحه لا يتجاوز التفكير في وجبة أفضل من شطائر الفول والجبن. لكنه أحبّ شريف لأنه لا يحكم عليه ولا يُصنفه ولا يجد غضاضة في الخروج معه في أي مكان بملابسه البعيدة عن الموضة والجودة. لا سببَ لاقتراب الشابّين من بعضهما إلا تآلف الأرواح لا أكثر.

لكن خلال الأشهر القليلة الماضية استطاع سيف الحصول على عمل جانبي مع الدراسة واشترى ملابس جديدة وحاسوبًا محمولًا مستعملًا. وظيفة كاشير لا تستطيع توفير هذا لسيف، لكنّ الشابّ أصرّ على أنّ مشترياته من مال جمعية يسدد أقساطها خلال عامين.

ثم بدأ سيف في التفاعل مع جروب على فيسبوك يدّعي صاحبُه الأرميني المُعلّم ساركسيان قدرته على اكتشاف حقيقة النفس من خلال تمارين تأمل يواظب عليها المتمرن ثلاثة أشهر، ثم ينتقل إلى المنتجع بعد دفع الرسوم ليصوم أسبوعًا إلا من مشروبات عشبيّة خاصّة، حتى يصل إلى موعد فتح بوابته النجميّة ومقابلة نفسه الحقيقية.

يزعم كلٌّ من تعامل مع المعلم سركسيان أنهم مروا بتجربة

روحية مدهشة، حررت طاقتهم الداخلية حتى صاروا من الشفافية بحيث يستطيعون رؤية لقطات من الماضي غير المعلوم لهم ومن المستقبل، بل والتنقل بالروح حيث يشاءون في أثناء نومهم.

همس شريف لصاحبه:

- لن نخسر شيئًا من التجربة. لم يتضرر منها أحد، والحشيش لا يسبب الإدمان، أليس كذلك؟

هز سيف رأسه غير متأكد من المعلومة الشائعة عن مخدر الحشيش. هو فقط لا يعرف أن الإدمان النفسي في قوة وشراسة الإدمان الجسدي، وهذا ما يجعل الإقلاع عن التدخين أو حتى قضم الأظفار عملًا شاقًا لا يقدر عليه سوى ذوي الإرادة.

هذا إن نجا مدخن الحشيش من أضراره الجسدية على خير حتى يقرر الإقلاع.

دخل سركسيان مبتسمًا، يرفل في زيٍّ كتانيٍّ أبيضَ طويلٍ، يسير ببطء حافي القدمين، يحمل جرّة من حجر محفور بين يديه. تربّع على وسادة أمام الشابين، ووضع الجرة أمامهما.

الغرفة الواسعة مضاءة بشموع داخل قوالب من الملح الصخري، يتسلل ضوء المغيب الأحمر من سقفها المفتوح على السماء. يتماوج دخان البخور حول الحوائط، ومن سماعات مدفونة يتصاعد صوت مجسم لنغمات بلا سياق موسيقيّ. نغمات أَلِفها الشابان من فيديوهات التأمل الخاصة

بالمُعلّم على تيكتوك.

يسأل المعلم سركسيان شريف بلغة عربية سليمة ولكنة غير ملحوظة:

- ما الرؤى التي وصلتك خلال فترة الصيام؟

- صحراء. لم أرَ سوى صحراء شاسعة مظلمة، وشيء في نفسي يدفعني للسير فيها. أمس فقط سمعت صوتًا نسائيًا يُنادني: « تعالَ يا ابن ديهيا.»، لكني أعرف أن هذه هلوسة جراء تأثري بـ.. بفيلم معين أحبه.

وكان شريف يقصد تأثره بما قرأه عما حدث معي وقت كانت ديهيا تزور أحلامي وتناديني. صمت المعلم لحظات، ثم سأل سيف، فأجاب باسمًا في حرج:

- لم أحلم بشيء. كنت عاجزًا عن النوم بسبب الجوع!

ضحك المعلم ضحكة خافتة، ثم قال:

- ربما تحتاج إلى تدريب أكثر يا سيف. لكن لنجرب الآن بما أنك جئت وتحمّلت الجوع.

سأل شريف بنبضات قلب متسارعة:

- ماذا سنفعل؟

- لقد أكملت أسبوعًا يا شريف هنا، ونمت في الفيافي ثلاث ليال، وامتنعت عن المتع، وبُخّرت باللبان الذّكر كل ليلة، وبهذا تكون قد تجهّزت للتلبيس أو **Spiritism**. جسدك النجمي

العلوي في انتظار الحلول فيك ومنحك المعرفة بنفسك والسيطرة التامة عليها.

لم يخبر شريف المعلم سركسيان بأنه زوهري، ولم يخبره بالطبع بهدفه من هذه الممارسات، التحوّل إلى الزوهرية الكاملة مثل مهدي أبركان، الذي كان يضن عليه بالعلم والممارسة.

من طيّات ملابسه أخرج المُعلّم كتابًا صغيرًا بأوراق جلدية، فقطع صفحة منه ووضعها داخل الجرّة وأضرم فيها النار، ثم ناول الشابين سوطين صغيرين مصنوعين من ألياف مجدول وقال:

- اجلدا نفسيكما. هذا هو التطهر الأكبر من الآثام.

تردد شريف وهو ينظر إلى صديقه، فقال الأخير:

- هذا غريب. لا أظن الضرب ضروريًا.

قال سركسيان في هدوء:

- العقاب البدني الذاتي في كل الأديان. أنتما مسلمان، تصومان وتُضحيا بجسديكما لربكما. تذهبان للحج مقدمان أضحية جسدية وحيوانية ومالية. هكذا الإنسان، والاستسلام لفرض العقاب الذاتي جزء من قبوله لنفسه.

سأل شريف:

- وهل أنت مسلم؟

- لا ديني.

أومأ شريف وأخذ السوط، فحذى سيف حذوه. ثمة متعة خفية لدى شريف في عقاب نفسه. فطِن إلى أنه يعتبر نفسه سبب تدمير عائلته الحقيقي. لو لم يستسلم لفضوله ما طلّق أبوه أمّه. لو لم يستسلم لفضوله لربما استطاع إنقاذ ابن أخته من قبضة شيطان الرعب.

هوى شريف بالسوط على ظهره العاري، وكتم ألمه. ثم هوى مرة أخرى. قال سيف وهو يعيد الكرباج لسركسيان:

- لا.. لا أستطيع. سأرحل.

- اجلس ولا تضيع الفرصة. هاته.

أمسك سركسيان الكرباج وهوى به على ظهر سيف. صرخ الشاب وتكوّر حول نفسه، فضربه المُعلّم مرة أخرى حتى سال الدم من ظهره.

رائحة احتراق صفحة الكتاب داخل الجرّة بشعة.

قطرات دماء الشابين تسيل على جسديهما، ثم تلتقي بالأرض الحجرية.

تعالَ إليّ يا ابن ديهيا.. لا تخشَ شيئًا.

الرائحة تتزايد، شريف يتوقّف عن جلد نفسه ويقشعر جسده. تزرق أطرافه من البرد الشديد وتتهدّج أنفاسه. سركسيان يغمغم بكلمات لا يفهمها شريف.

يزحف سيف نحو البوابة وهو يصرخ:

- أخرجوني من هنا!

البوابة مغلقة من الخارج. الشمس غابت وصار الضوء شحيحًا مزرقًا مشئومًا.

- النجدة!

يشعر شريف بتنميل، ويرى أضواء متراقِصة تحاول النزول من أعلى السقف وتفشل، فتخبو كما تخبو الشهب إذ ترتطم بالغلاف الجوي.

عند كوكبة التنين، ستجدني. اتبع كنزي..

يرى شريف قرنين ضخمين حالكين يشقان الجدار دون أن يهدماه. يركع سركسيان، ثم يسجد أمام الطريق الذي يقطعه الكيان الداكن الضخم، ذو الذيل المضفور.

بصوت غير أرضي يظن في أذني شريف، يسمع:

«ألن تُحيي عمو جبر يا شريف؟ هل أتممت عامك الحادي والعشرين؟ آه.. ليس بعد.. إذًا أنا عمو جبر، الذي أتى لينقذك من عذابك ويحقق أمنيتك الصغيرة. ألا تريد أن تصير مثل لاشين؟»

يقف الشيطان الضخم جوار شريف، وينحني ليظلل وجهه بوجهه الشبيه –في أعين البشر- بوجه الوطواط.

«أنا سأحقق أمنيتك، ولأنني كريم، سأحققها بما تستحق يا

شريف الصغير. لن تصير مثل لاشين، بل أقوى. كيف سيكون الكائن المكون من إنس وجن وشيطان؟ زوهري ممسوس.. خليط فريد من تصميم عمو جبر. لن يأخذك أحد مني كما أخذ مني جسد عائلي الذي عشت فيه قرونًا. أنت الأقوى على الإطلاق يا شريف.. سنكون الأقوى على الإطلاق.»

يقترب جبر بوجهه أكثر من وجه شريف حتى يمتزج الوجهان. شريف غير قادر على الحركة كأنه جثة. سيف جاثٍ على الأرض جوار الباب يصرخ ويحرك ساقيه كأنما يركل.

ثم يتناثر الدم على صدر شريف متدفقًا، يحرك عينيه نحو مصدره، ليجد سركسيان راكعًا على ركبتيه يمسك حلقه المنحور، وخلفه شاب داكن البشرة، يرتدي عباءة ذات غطاء رأس، يمسح خنجرًا مزدوجًا في منديل حريري.

مهدي أبركان، سفّاح السحرة.

يهدر الشاب ذو الصوت الخشن:

- بسم عهد الدجالين الملعون، وعلى دماء الساحر غبيد مُجّ الكافر، آمرك أيها الشيطان بالعودة إلى حيث جئت، بحق عهد سليمان عليه السلام. بحق مُلكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده.

يتقدّم مهدي من جبر، ثم يقذف نحوه خنجرًا فضيًا، فيضحك الشيطان، ويبتعد خطوتين، ثم يمسح دماء شريف بيده المخلبية ويقول بطريقته المميزة:

- دماء الزوهريين شهية يا مهدي العزيز. لماذا أتركها؟!

ذكّرني..

- وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر..

- ما لي ومال سليمان يا بُني؟

- غُد إلى حيث أتيت بأمر ديهيا كاهنة الأوراس.

لعق جبر أظفاره بلسان أسود مشقوق ثم قال مفكرًا في افتعال:

- آه ديهيا.. الصغيرة ماري التي أغضبت عمو جبر منذ قرون. حسنًا، لو نظرت إلى أعلى لوجدت أن الجن غير قادر على اختراق التحصين. أنت وحدك هنا أيها الزوهري الأسود، ولو كنت أصغر سنًا لاخترتك، ولو كانت زوجتك أكثر موهبة لاخترتها. لكن وشريف هنا، لن يضاهيه أحد. شريف ليس زوهريًا ملكيًا مثلك. شريف زهري مريد الصالحين.. ألم تسمع عنهم من قبل؟

- كف عن الثرثرة أيها الشيطان اللعين. ليس لك أن تظل في عالم النور بعد موت ساحرك.

مهدي مُحِق. موت الساحر قبل إتمام المس يُجهض العملية كاملة. هكذا كان مهدي يجد ضحاياه من السحرة. يخبره ذو الرمح بمكانهم وموعد حرق صفحة كتاب العهد، فيذبح مهدي الساحر وينقذ الضحية، وينقل الشيطان إلى محبس ديهيا.

بسرعة فائقة يراها البشر بطيئة وسريعة في آن، ينتقل جبر

إلى سيف، ويتحرك شريف بصعوبة وقد زال خدر التلبس به ويهتف:

- سيف يا مهدي..

يرمي مهدي الشيطان بخنجر آخر وهو يقول:

- الجن غير قادر على عبور التحصين، لكنه قادر بفضل الله ثم قدرتي على الانتقال إلى هنا مباشرة. احضَروا يا أبناء طارَش من كل حدب وصوب لإغاثة مهدي ابن أبركان ابن ديهيا الأسود.

يرفع جبر سيف بين يديه، وبطريقة الشياطين المفضلة يدير جسده حول نفسه، يعصره.

يزحف شريف مترين، ثم يقوم مترنحًا نحو صديقه وهو يستعيد وصف ما حدث لعمرو عمارة قابيل على يد شيطان الرعب.

- لن أغادر بهذه السهولة يا مهدي.

صوت تفريغ هواء قوي، ثم تبزغ من الأرض ألسنة لهب، تتحول إلى مخلوقات قصيرة ذات رؤوس كبيرة وأجساد زرقاء شفافة، تمسك في أيديها سلاسل ذات أشواك، ثلقِيها نحو جبر، ثم تجذب، فتنغرس الأشواك في جسده غير المادي.

لكنه يضحك. يضحك ويلقي سيف على الأرض، فيلقي شريف جسده عليه ويحيطه بإعصار من ألوان لا مثيل لها في

عالم البشر.

ويبكي شريف. يبكي صديقه وعمر الصغير الذي مزقه شيطان الرعب. يشعر بحنق شديد يجعل جسده يستعر بالحمى.

تهدر ضحكة جبر خبيثة مُزلزلة. ينظر نحو الساحر الممد غارقًا في دمائه، مفتوح العينين ويقول:

- ألقاك في الجحيم يا عُبيد مَج. إلى لقاء قريب مع عمو جبر.

يجذب الجن الشيطان أكثر نحو فجوة أرضيّة منيرة. يتجه مهدي نحو شريف ويمد له يده ويقول:

- هيا يا أخي.

- إلى أين؟

- إلى ديهيا. المكان غير آمِن هنا، ولقاؤك اللصيق بشيطان مثل جبر يحتاج إلى علاج.

- ديهيا؟

يقوم شريف غاضبًا ويضيف:

- ستأسرني كما أسرت لاشين من قبل؟! أم سأكون أعجوبة مملكتها؟ الزوهري الممسوس؟

- فِعلة جبر ستجذب الشياطين إلى تكرار المحاولة. اللعين مُبتَكر، يشبه مؤثري مواقع التواصل الاجتماعي التي يعيش

فيها. كلما فعل جبر شيئًا، تتسابق الشياطين إلى تقليده. اسمع. لاشين حفيد ديهيا بشكل ما، أما أنت فزوهري. مكانك ليس هناك مثلي تمامًا. أنا غير حبيس. أقتل السحرة كما أريد ولا تعارض ديهيا هذا. ستفعل ما تريد يا شريف وقتما تريد، لنقل أنك ستعمل مع ديهيا، وتحت حمايتها، ولك مطلق الحرية في حياتك بعد ذلك. ديهيا لن تطالبك بأن تكون شخصًا آخر يا أخي. ستكون كما أنت.

فكّر شريف لحظات ثم سأل مهدي:

- وإن لم يعجبني العمل معها؟

- ما حدود الزوهري؟ السماء! ارحل ولن تتبعك. لاشين هرب ولم تتبعه. تذكّر هذا: ديهيا أم ولن تؤذي أبناءها أبدًا.

نظر شريف إلى سيف وقال:

- وصديقي؟ هل يمكن لديهيا إنقاذه؟

- لا مكان له هناك يا أخي. لقد مات.

- لن أتحرك دونه. أنا لا أثق فيها يا مهدي. ولن أثق فيها. لست غبيًا.

انحنى شريف يجُر جسد صاحبه الذي فارقته الحياة، فشعر بضربه على مؤخرة عنقه وسقط أرضًا. قبل أن يفقد الوعي، رأى وجه مهدي الأسمر يُطل عليه من أعلى ويقول:

- معذرة يا أخي. أنت لا تعرف مصلحتك.

***

-٥-

أكتوبر ٢٠٢٣

طنطا- الطريق الزراعي.

أنتظر في سيارتي الجديدة –اشتريتها بعدما فقدت القديمة في الأردن(2)- وأشغل كشافات الانتظار الخلفية بينما أنتظر على جانب الطريق الزراعي.

تقترب السيارة التويوتا المألوفة، وتتوقف خلفي، ثم ينزل منها الحاج مدحت في جلباب شكري مكوي بعناية، وحذائين بنيين يلمعان وسط حلكة الطريق.

أنزل من السيارة وأصافحه. أعرف أنه يشعر ببرودة مضاعَفة وخوف غير مُبرر. هو لم يلقني منذ استعدت قوتي بعدما قتلت الكُتبا. يصمد الرجل ويدور حول مقدمة السيارة ليركب إلى جواري.

- جئتك من دسوق مباشرة يا بني. أخبرني، أين شريف؟

- عند ديهيا.

اتسعت عينا الحاج مدحت الخضراوان، وقبل أن يقول شيئًا بادرته:

- أعتذر يا حاج عن تقصيري. حقًا أعتذر.. ولهذا اتصلت بك. أنت الوحيد الذي لن يلومني. لن تقبل سهير اعتذاري..

وتذكرت الرجل الذي كنت أعمل في مكتبته لبيع الكتب

القديمة في طنطا في فترة مراهقتي. ذلك الذي علّمني أن الناس لا يعذرون ولا يقبلون أعذارًا مهما كنت صادقًا نادمًا. أردفت:

- كنت مشغولًا الفترة السابقة في متابعة ما يحدث مع سهير والكاتب المخبول(3)، وما يجري في بيت عائلة أسامة في الوقت ذاته(4)، وعندما انتبهت شياطيني إلى الحركة الغريبة في عالم الظلمات بسبب أسر الشيطان جبر، كان الوقت قد فات.

- و.. وكيف عرفت ما حدث؟

حكيت للحاج مدحت أني سافرت إلى الصحراء الغربية فور معرفتي بمكان أسر جبر في منتجع خاص، وراجعت ما حدث في ماضي هذا المكان. عرفت أن هذا المنتجع مملوك لساحر عتيق يُدعى غبيد مَج، ذُكِر في الأساطير العربية القديمة، وله طريقة مختلفة في السحر لكنها تعتمد على عهد الدجالين كالعادة. من خلالها يُسكن الشياطين في أجساد عائل من البشر، فلا تمزقهم سريعًا بفضل التمارين (الروحية) التي يرشدهم إليها فتضعف إرادتهم وتمحو من أجسادهم بصمة البشرية تدريجيًا، فيصلحوا لسكن الشياطين فترة أطول من المعتاد حتى يجد ساكنها عائلًا أقوى بطبيعته.

- العائل الأقوى يا حاج مدحت، هو من يتحمّل سكن شيطان مارد. مثل جبر، وشيطان الرعب. لا أعرف خصائص عائل جبر الذي تحمّله مئات السنوات، لكني الآن أرجّح أنه من

ذوي القدرات الخاصة، الباراسيكولوجية. هؤلاء البشر هدف الشياطين، لذا ارتبطت تلك القوى بالسحر والكفر دون رابط حقيقي.

أخبرته أيضًا أنني رأيت مهدي أبركان يقتل غبيد مَج، ويأسر الجن جبر وينقله إلى مملكة ديهيا، ثم يساوم مهدي شريف ويغريه، وعندما يرفض شريف، يأخذه عنوة.

- كان عليّ أن أعرف ما الذي عرّف شريف على الساحر، وكيف وجد مهدي الساحر ما لم يكن بوشاية من ذي الرمح. تتبعت أثر الشياطين في الصحراء حتى رأيت موضع الاتفاق بين الشيطانين. خان ذو الرمح جبر رغم العهد بينهما، وأخبر ديهيا. السؤال الذي لم أجد له إجابة، لماذا خان ذو الرمح جبر؟ أعرف أن الشياطين تكره بعضها، لكنهم يتحالفون كثيرًا مقابل منافِع.

وكان وعد جبر لذي الرمح دماء زوهري مريد الصالحين، أندَر أنواع الزوهريين، ومنهم الأولياء كما يزعمون. هل عرف ذو الرمح أن جبر يُبالغ أو يكذب؟ ربما.. ولهذا باعه لديهيا.

سأل الحاج مدحت:

- وما نفع هذه الدماء للشياطين.

- هي كل شيء بالنسبة لهم. دماء الزوهريين تمنحهم نعيمًا مؤقتًا، وقوة ضارية، وقدرة على التواجد فترات طويلة دون عائل في عالم البشر. كلما زادت جودة الدماء، زادت قوتهم. هذه هي الطريقة التي تأسرهم بها ديهيا دون أسر. يعودون

إليها في كل مرة كالمدمنين، وتمنحهم هي مغاطس مليئة بدماء الزوهريين. عالية زوجة مهدي ممن يُستنزَفون هناك، ومهدي راضٍ بهذا.

تقصيري الذي لن أغفره لنفسي حتى هو معرفتي بتعاطي شريف الحشيش، وسماحي له بهذا. كان عليّ أن أجبره على العودة لأهله. كان عليّ أن أجرّه إلى أقرب مصحّة وأسخّر شياطيني لحراسته. لن تغفر لي سهير أبدًا ولن تصدّق أنني كنت فقط أرغب في منحه حرية الاختيار التي لم تُمنَح لي قَط.

- تقول يا لاشين أنك كنت تعرف أنه مدمن؟!

- نعم. سامحني يا حاج مدحت.

زفر الرجل في ضيق وقد ازرقّت شفتاه من برودة شياطيني، ثم قال:

- وهل لهذا علاقة بموضوع جبر؟

- نعم. جبر وسوس لسيف صديقه عبر الإنترنت حيث نُفي مرة أخرى بعد ضياع جسده العائل، وأرشده إلى المُعلّم سركسيان، الذي أرشدهما بدوره إلى طريق الحشيش والتمارين الروحية حتى هيّأهما لمبتغاه.

- معنى هذا أن ذا الرمح هو من أخبر الساحر برغبة جبر في التلبّس بشريف.

- هذا صحيح. فخ لجبر، وفرصة للخلاص من الساحر دون

استخدام الرمح.

- ماذا تعني؟

أخبرته أن كسر اتفاق الشياطين يُفقد الخائن سلاحه الذي عاهد به. لو خان جبر لفقد قرنيه العظيمان، مفخرته وسط الشياطين، ولو خان ذو الرمح –كما حدث الآن- لفقد رمحه وسبب وجوده.

- أعتقد أن ديهيا ستعوضه عنه بشكل ما.

- وماذا سنفعل يا بني؟!

نزلت كلمة « بُني» على قلبي الملتهب كالبلسم. لقد قبل الرجل اعتذاري وتفهّم موقفي. قلت له:

- ثمة تفصيلة أخرى ربطتها بدماء الزوهريين مريدي الصالحين. عرفت من الأخبار على الإنترنت أن رجالًا شاهدوا هجمة شيطانية على مسجد السيد البدوي، ورأوا عودة الولي الشيخ طاهر، وهزيمته لهم.

عقد الحاج مدحت حاجبيه، بدا القلق على وجهه.

- الشيخ طاهر؟ عاد؟ من أين عاد ولأي سبب؟

- أعتقد أن هذا له علاقة بوعد جبر لذي الرمح. هل خطط جبر لتقديم دمائه ثمنًا لاتفاقه؟ هل أرسل شياطين لأسره وفشلوا؟ هل عرف ذو الرمح بهذا فقرر خيانته لأنه لا يملك ما يدفع مقابل الساحر وعهده؟ ربما..

حكيت له سريعًا معرفتي بالشيخ طاهر في طفولتي ومراهقتي، ومقابلتي له قرب مملكة ديهيا. كل شيء متصل ببعضه لكني لا أفهم الصلة بعد.

- ماذا سنفعل يا آدم؟!

- لا يستطيع أحد دخول مملكة ديهيا إلا بمعرفتها وإذنها. البوابة لا تظهر لأحد إلا عندما يُرفع عنها الرصد، ويبعد مهدي الراصود الذي يحرسها. لن أستطيع الدخول.

- أليس معك ما يساعدك؟ أسلحة؟ تعاويذ؟

- نحن نتكلم عن مملكة أقوى ساحرة عرفتها البشرية يا حاج. أسطورة نجوت من براثنها بأعجوبة.

- إذًا ضاع الولد؟!

- لن نستسلم. هل يمكن أن تأتي معي إلى المعمل في سيوة؟

- مشوار طويل يا بُني، والسيارة..

- ثق بي.

ضربت جبينه بأصابعي، ففقد الوعي. ثوانٍ وسنكون في معملي ومعنا سيارتانا.

***

يقف الحاج مدحت في غرفة أسلحتي، ممسكًا بكوب شاي زجاجي –بناء على طلبه- فيضع أربعة أصابع تحته، والإبهام

عند حافته، ويرشف بصوت مسموع.

- صداع يا آدم يا بُني.

- آسف. أثر الانتقال. سيزول سريعًا.

وضعت ساعتي أمامه على المنضدة العالية وقلت:

- هذه تزيل الرّصد وتكوّنه، لكن على حدود مساحة ضيّقه. أما حزام ديهيا فيمكنه إزالة رصد القصر، لكن كيف سأدخل وأعبر الراصود؟

- الراصود؟

- ثعبان هائل من الجن، يتبع مهدي أبركان وكل مَن هم من أبناء طارَش من الجن، ويحرس الكنوز. هو يعتبر أن مملكة ديهيا كنز في حد ذاته.

- إمم.. أي زوهري يمكنه التحكم في الراصود؟

- لا أعرف. لكن لن نغامر خاصة ونحن لا نعرف زوهريين آخرين سوى شريف.

يسألني الحاج مدحت:

- هل سهير ورانيا زوهريان؟ ماذا عن الحاجة مريم؟

- ليسوا زوهريين، بل أصحاب قدرات خاصة.

شرد الحاج مدحت كأنما يتذكّر شيئًا، ثم قال:

- ماذا لديك غير ذلك؟ مَن يستطيع العبور إلى هذه المملكة

وتجاوز الراصود؟

أخبرته أن تجاوز الراصود ليس المشكلة الكبرى، بل المملكة نفسها التي تعج بأخطر الكائنات التي لا تخطر على عقل بشر. كيف سينجو من سيعبر من الجن والنورانيين والزوهريين والشياطين وأصحاب المواهب الخاصة والسحرة ومهدي أبركان وديهيا نفسها؟! إن كان على أحد العبور، فلا بُد أن يكون أنا. أنا الوحيد القادر على الخوض وسط كل هذا. أنا الوحيد الذي لن تقتله ديهيا ولن تسمح بقتله لأنني..

- لأنني من سيقتلها كما رأت في نبوءة لها. هي تريد أن تموت، ولن يقتلها أحد سواي. هذه هي لعنة الحياة الطويلة يا حاج مدحت. يسأم المرء منها ويتمنى لو يقتله أحد.

أعرف هذا لأنها معضلتي. لن أموت إلا مقتولًا، وبعدما تخرج شياطيني التي تعالج إصاباتي من جسدي.

- وكيف ستدخل؟!

- الاختفاء والتجسد داخل المملكة لن يفلح. الذهاب إلى هناك والزعم أنني جئت لأسلم نفسي لديهيا لن يقنعها، لا سبب لقدومي الآن بالذات سوى أن شريف بالداخل. التنكُّر لن يُجدي، شياطيني ستكشفني. تسخير جن مِمَّن بالداخل؟ ماذا أملك لأعطيه لهم ولا تملكه ديهيا؟

شرب الحاج مدحت آخر ما في الكوب، ثم قال:

- الشيخ طاهر. أنت قلت أنك رأيته قرب مملكة ديهيا، وقيل

أنه قد عاد. أين هو الآن؟

- لا أعرف. لكني أستطيع أن أبحث عنه إن كان في عالمنا، وليس داخل رَصَد. لكن هل سيوافق على مساعدتنا؟

- لماذا سيرفض؟ لكن الوقت يمر سريعًا ولا نعرف ما يحدث لشريف هناك. يجب أن نفكر في خطط موازية. أخبرني بخصائص ما على هذه الأرفف. أعرف أن معنا بندقية تقتل الجن، تلك التي قتلنا بها جنية إلفام.

- ومعنا قط قادر على العبور بين عالم الجن والبشر، مشموش. لا أتمالك نفسي من الضحك وأنا أضع قطًا في حساباتنا.

- كل شيء سينفعنا. كل شيء. هات ورقة وقلمًا وتعالَ.

-٦-

أكتوبر ٢٠٢٣

مكتب أساتذة كلية الآداب- جامعة طنطا

يجلس أسامة يشرب القهوة ويكتب شيئًا في دفتر. يدق الباب، فيأذن أحد الأستاذة الآخرين في الغرفة لمن يطرق بالدخول.

يسمع أسامة صوتًا مألوفًا، دقات على الأرض. يرفع رأسه ليرى رجاء تتكئ على عُكّازها، عابسة غاضبة.

- رجاء. أهلًا وسهلًا. لماذا لم تتصلي بي؟

دقّت رجاء بعكّازها على الأرض وهتفت:

- لا سلام ولا كلام ولا اتصال. أين ابنك يا أسامة؟

همس أسامة وهو يقوم متجهًا نحو الباب، ويرشد رجاء لاتباعه:

- لنتكلم في الخارج..

- ولا خارج ولا داخل. أين ابنك أيها الأستاذ الجامعي، يا من تُدرّس علم النفس للطلبة ولا تطبقه على حياتك؟ أين ابن أختي؟!

نظر الأساتذة الآخرون في المكتب إلى بعض في حرج، ثم استأذنوا في الخروج. أضافت رجاء وهي تلكز أسامة بعكازها في صدره:

- أنت تهرب كالأطفال. (مقموص) يا أسامة؟! غاضب من مراهق أرعن؟!

- رجاء، لا يصح..

- ويصح أن تترك ابنك حيث لا يعرف أحد؟

- شريف يسكن في شقة طلبة مع زميله.

- شريف ليس في شقة سيف يا أسامة. أنت لم تكلّف خاطرك لحظة لتتأكد.

أتسعت عينا أسامة ذعرًا. أين شريف إذًا؟

- لا ابنك ولا سيف في الشقة. لقد حاوطتني الكوابيس طوال الأسبوع الماضي. رأيت شريف محاطًا بالعفاريت! كنت قد عاهدت نفسي على عدم التدخل في حياة سهير، واكتفيت بالسؤال عنها فقط، لكني اتصلت بها أمس، وسألتها عن شريف، فانفجرت في البكاء. هيا يا «أبا طويلة» نبحث عن الولد. أختي تموت حزنًا، ولا تريد الاتصال بلاشين ليبحث لها عنه. لاشين الذي اتهمتها فيه أيها الغبي. هيا!

أمسك أسامة رأسه وشعر بدوار مفاجئ مع ألم في لوح الكتف. جرّته رجاء من طرف قميصه نحو الباب وهي تهتف:

- هيا.. اتصل بلاشين وإلا اتصلت به أنا، لكن إن فعلت، فلن ترى سهير ولا أولادها مرة أخرى. مفهوم؟! اعتبر أنه لا أهل لك.

***

تجلس سهير عند أبعد نقطة عن أسامة في صالة بيتها، وجوار الباب يجلس أسامة مطأطئ الرأس، بينما تقف رانيا ورجاء بين الصالون والصالة. تهتف رانيا:

- ما نوع الخطر الذي وقع فيه شريف؟!

قال أسامة بصوت حزين:

- لو أنه لم يكن في شقة الطلبة، فلا بد أنه كان مع مهدي أبركان هذا. أم ثراه مع..

هتفت سهير:

- مع لاشين؟ نعم.. ألصق أي تهمة وأي مصيبة في لاشين. هاتي الهاتف يا رانيا.

تنظر لها رانيا متسائلة، فتضيف سهير:

- سأتصل بلاشين. إن كان معه فهو في أمان، أليس كذلك؟ لاشين رجل يعرف كيف يحافظ على أبناء الناس، ولطالما حافظ على مهاب وحسن. وإن لم يكن معه، فهو قادر على العثور عليه.

حدق إليها أسامة، فضربت رجاء الأرض بعصاها وصاحت:

- الزمي الأدب يا سهيرا هذا الجالس هناك أبو ابنيكِ، والآخر هو السبب في انفصالكما.

- لاشين ليس السبب يا رجاء. أسامة هو السبب. لقد

انفصلنا قبل طلاقنا بأعوام. لقد خنقني وخنق ابنيه وهذه هي النتيجة. أنت تنكر وجود الشمس يا أسامة وقد أجلستنا تحت وهجها سنوات حتى احترقنا جميعًا. ماذا تريد الآن؟ هه؟

غمغم أسامة:

- أريد ابني.

زفرت رانيا ثم قالت:

- أرى أن نتصل بلاشين. سأتصل أنا به.

لم يعترض أحد. رن هاتفي برقم رانيا وأنا بعد جالس أمام الحاج مدحت، نضع أمامنا أسلحتي التي يمكن أن تساعدنا في خطة لا ملامح لها. أشار لي الحاج مدحت بألا أخبر رانيا أنه معي.

- رانيا.

- لاشين.. أين شريف أخي؟

نظرت إلى الحاج مدحت، فهمس لي: «تظاهر بأنك لا تعرف شيئًا.»

لكني لست أسامة، ولا أخشى الاعتراف بوجود الشمس. قلت لها:

- رانيا تماسكي ولا تقلقي. مهدي أبركان خطف شريف، وهما الآن عند ديهيا.

ضربت رانيا صدرها، فهرعت سهير تخطف منها الهاتف

وتصيح بي:

- أين ابني يا لاشين؟ ماذا حدث له؟

أفلت قلبي عِدّة دقات، ولمعت عينا الحاج مدحت بالدموع. قلت لها:

- لا تقلقي يا سهير. أنا أعمل الآن على وضع خطة للدخول إلى مملكة ديهيا.

- سآتي معك. تعالَ الآن وخذني.

نظر لها أسامة وانتفخت أوردته. قلت لها:

- انتظري يا سهير. كلما قلّ عدد من يتورط داخل المملكة كان هذا أفضل. لا يمكن لأحد الدخول دون إذن. لا شياطين ولا جن ولا إنس.

- وكيف ستدخل أنت؟ ضاع ابني؟!

- لا يوجد مكان مُحصّن بالكامل يا سهير. يجب فقط أن نعثر على الثغرة. سأتصل بك لاحقًا. لا تفعلي أي شيء قد نندم عليه.

- لا تغلق الخط يا لاشين..

أعرف أن سهير لم تُدرك ما قالته إلا عندما نطقته. نظرت إلى أسامة، فرأته يتجه إلى الباب، ومن خلفه رجاء تناديه.

- انتظر هنا. البنت فقدت ابنها عند أخطر ساحرة سمعنا بها وأنت تغضب لما قالته؟ يا أسامة.. قلب الأم يا بُني..

واختفى صوت رجاء وهي تهبط الدَرج ببطء خلف أسامة. أغلقت سهير الخط وارتمت باكية في حضن ابنتها. راحت الأخيرة تُمسّد على شعرها وتهدهدها.

- كفى يا أمي. كفى. سنجده إن شاء الله.

- لماذا طلبت من هذا الشيطان ألا يغلق الخط؟!

- لأنه –للأسف- ملاذنا الوحيد الآن. كُفي عن لوم نفسك..

وانفجرت رانيا هي الأخرى في البكاء.

***

أوقف أسامة سيارته أمام مسجد قريب، ثم دخل فصلى ركعتين، وجلس مُرتكنًا إلى الزاوية، يشعر بخفقان قلبه يتزايد والألم يطعن ما بين كتفيه.

شمّ راحة مسكٍ قوية، ثم شعر بمن يقترب منه، رجل في عباءة خضراء، وعمامة من اللون ذاته، يغطي وجهه بلثام أبيض خفيف. يبدو من مُريدي السيد البدوي. لقد انتهى المولد في منتصف الشهر، ويبدو أن الرجل قرر البقاء قليلًا بعده.

جلس الرجل إلى جوار أسامة، ولم ينظر إليه، فقط قال:

- لا تحمل همّ ما لا تقدر على تغييره يا بُني.

- ماذا؟

- لكلِ ما خُلِق له. تتآلف الأرواح وتتنافر بتقلُبها وفورانها

المستمر، لكن ما تلبث أن تعود صافية دون كَدَر. الوقت يا بني.. الوقت هو الداء والدواء.

- من أنت يا شيخ؟ من مُريدي السيد البدوي؟

- ما أنا إلا عبد الله، أتاني من فضله يا بُني.

ارتاح أسامة لحضور المعلم رغم تساؤلات عقله الواعي عن سبب اللثام وهوية الرجل. هذا رجل ممن يرغب المرء في البكاء أمامه كطفل، والاعتراف بكل شيء فقط ليرى انعكاس نفسه في عينيه، بشري يخطئ ويصيب.

- ابني مفقود يا شيخ، أعرف مكانه ولا يمكنني الوصول إليه. كم أشعر بالضعف وقلة الحيلة. كم أنا حانق من نفسي ومن تفكيري ومن قلبي ومن حياتي ومن اختياراتي.. كم أكره...

قطع أسامة عبارته وأمسك صدره وهو يجاهد في التنفس. همس:

- قلبي.. أريد طبيبًا.

بهدوء التفت الرجل إلى أسامة، ووضع يده على صدره وراح يقرأ الفاتحة. دقات قلب أسامة تنخفض تدريجيًا، الألم يقل ببطء، تنفسه صار ممكنًا الآن.

- أسأل الله العظيم أن يشفيك يا بني شفاء لا يغادر سقمًا.

يرفع أسامة عينيه إلى الرجل وهو ملقى على ظهره ويسأله:

- مَن أنت حقًا؟

- يمكنك أن تنادِيني الشيخ طاهر.

سمع أسامة عن الشيخ طاهر مني ومن مهاب، ومن مريدي السيد البدوي، لكنه لم يلقه من قبل.

- كل ما أريد قوله يا بُني، أن الحب والحزن وجها الحياة، وكي تتأكد من صدق محبتك، يجب أن تختبر المرارة والحلاوة. لكن خُلِق الإنسان جزوعًا. أشهُر الأسى لن تعادل سنوات الفرح.

- من أنت يا شيخ طاهر؟

- لا تفكر، وأرِح قلبك المهموم. لا زال الطريق طويلًا.

أغمض أسامة عينيه لحظة، ثم فتحهما ليرى وجه رجل يُطل عليه من أعلى.

- يا أستاذ.. ممنوع النوم في المسجد.

نظر أسامة حوله، فلم يجد الشيخ طاهر، لكن رائحة المسك ظلت عالقة في ملابسه وصدره.

***

أخذت رجاء الهاتف من رانيا الجالسة في حجرتها تضع كمادات الشاي على عينيها المتورمتين من البكاء.

- ماذا تريدين من الهاتف يا خالتي؟

- لا دخل لك الآن. اتركيني في المصيبة التي أنا فيها. ما

هذا على عينيكِ؟ ألم تحذرك أمك ألف مرة من استخدام أكياس الشاي الغالية في الكلام الفارغ؟ آلو، لاشين؟

أغلِق تابوت جبر الذي كنت أريه للحاج مدحت، وأتركه يفحص اللفافتين التي وجدهما هو في سيارة مهدي أبركان مع الأسلحة الأخرى يوم اختفى وتركها في ساحة الانتظار في دهب(5)، وأجيب رجاء:

- نعم، أنا هو.

أستعيد سريعًا ما فاتني مراقبته مما يحدث عندهم قبل مكالمتها، بينما تقول هي:

- أنا رجاء أخت سهير. اسمع يا آدم، أعرف أنك حاولت كل جهدك لإنقاذ.. لإنقاذ عمر. وأعرف أن مهدي كان سيصل لشريف لأنه زوهري، لا لأنه يعرفك. لذا لا أراك مجرمًا أو شيطانًا إلى هذا الحد، لكن وجوك أفسد حياة أختي وأفقدها أسرتها.

أسمع صوت رانيا ترجوها ألا تُغضبني، لكنها تضيف:

- أنت تعرف كيف تجد شريف، وأدعو الله في كل لحظة أن تجده، لكن هل فكّرت في أسامة ولو لدقيقة؟ أنت البطل في حياة سهير. أنقذتها مرات وستحاول إنقاذ ابنها. هل ستتزوجها يا لاشين؟ أجِب سؤالي.

أصمت، فينظر لي الحاج مدحت وقد سمع صوت رجاء العالي الخارج من سماعة الهاتف المحمول.

هل سأتزوج سهير؟ السؤال هو، هل تحبني سهير، أم أنني فقط المُنقِذ في حياتها؟ هل تحتاجني لأنني أنا، أم لأنني الوحيد القادر على إرشادها عبر ما ورطتهم فيه؟

عينا الحاج مدحت كشافان أخضران يحدقان في نفسي المختبئة خلف شياطيني.

- لا يا مدام رجاء. لن أتزوجها. لا لأنني لا أحبها، بل يمكن القول أنني لن أتزوجها لأنني أعشقها.. وهي تحب أسامة. أنا متأكد من هذا.

أطرق الحاج مدحت، وقالت رجاء:

- كنت أعرف هذا. والآن إن كانت شياطينك تسمح لك بالشعور بالذنب، هذه فرصة لإصلاح ما أفسدت. أشرِك أسامة في البحث عن شريف. هو ليس جبانًا ولا قليل الحيلة، لكنه إنسان وسط عالم عجيب! هذه مقارنة غير عادلة!

- فيمَ أشرِكه يا مدام رجاء؟ هل تعرفين ما أخطط له؟

- أيًا كان. ليقتله شيطان ونرتح جميعًا، لكن لا تدعه هكذا كفردة جورب بلا زوج!

هكذا تخيرني رجاء بين أن أخطط تخطيطًا فعالًا لإنقاذ شريف، وبين أن أصحب ابن الجيران السخيف ليلعب معي كي تسمح لي هي باللعب. لماذا أقبل هذا الشرط؟

لأجل سهير.. الإجابة ببساطة: لأجل سهير. هذا ما سيعيد لها حبيبها الحقيقي. سهير تذبل، ولو أنها تريد تجربة محبتي

لفعلت طوال الأشهر السابقة. سهير تفكر في أسامة كل ثانية من يومها، وهو يفكر فيها ويتخيل مكالمات بينهما حتى يكاد يُجن.

- موافق يا مدام رجاء. موافق.

***

-٧-

أكتوبر ٢٠٢٣

مملكة ديهيا

يستفيق شريف ليجد نفسه في حجرة ذات جدران حجرية، تضيئها كُراتٌ متوهّجة فوق أرفف. حاول شريف أن يقوم من الفراش، لكن يديه كانتا مقيدتين إلى عاموديه النحاسيين. بدّل أحدهم بنطالًا وقميصًا أبيضين بالإزار الذي كان يرتديه، وثبّت في أحد أوردته محلولًا شفافًا.

نادى شريف في غضب كاسح:

- أين أنا؟ هل يسمعني أحد؟!

حاول التملُّص من القيود حتى غلبه الألم. دُق الباب، ثم فُتِح ليدخل مهدي ومعه صحفة فضية.

- حمدًا لله على سلامتك يا أخي.

- أخرجني من هنا أيها الحقير!

- تعرف أنني أفعل هذا لمصلحتك. وتعرف أنني لا أفعل أي شيء إلا لصالح توازن العوالم. وجودك كما أنت بالخارج خطر، وسيجذب الشياطين إليك. ثم إنّك في حاجة إلى علاج من مَس جبر.

- أين سيف؟

- دفنه الجان في مكان آمِن.

وضع مهدي الصحفة على الفراش، فرأى شريف الخنجر الذي أعطيته –أنا لاشين- إياه. ناوله له مهدي وهو يقول:

- هو في الأصل خنجري، لكن لا أمانع في أن يكون معك. هل تثق فيّ الآن يا أخي؟

أخذ شريف الخنجر وهو يحدق إلى وجه مهدي الأسمر، حائر فيما عساه يفعل معه. مهدي لم يؤذه من قبل، لكن لمهدي حسابات أعلى، لو تعارضت مع مصلحة أي شخص مهما كان لاختارها.

- ماذا تريد مني الآن؟

- عدة أشياء يا أخي. أولها أن تثق بي، وثانيها أن تصبر معي حتى تُداوى، وثالثها أن تستعد للقاء أمي ديهيا لتشرح لك أكثر عما تود أن تطلبه منك. وتذكر يا شريف أنها تركت لاشين بعد فراره ولم تتبعه. لا إجبار هنا يا أخي.

دسّ مهدي محققًا في وريد شريف بسرعة حتى أن الأخير لم يحظى بفرصة التملص، ثم فك قيده.

- ربطتك لأنك كنت مهتاجًا تضرب كل من يقترب منك. أنت الآن حر في التجوال كيفما تشاء، لكن القصر اختلف كثيرًا عما كانه وقت زيارة لاشين. الممرات تتبدل كل يوم وفقًا لجدول متغير، فاحترس كي لا تضل طريقك. ولو حدث هذا، انتظر مكانك وسيأتي إليك أحد الحرس.

- هل أنا مُراقب؟

- كلنا مراقبون بدرجة أو أخرى. هذا لضمان سلامتنا. مملكة ديهيا فيها عجائب بلا حدود، ومخاطر لا ترد على الخاطر. المهم أن تخبرني بكل ما تشعر به، وبدقة. لا تنسَ أنك في فترة نقاهة.

قام مهدي ومدّ يده السمراء ذات الخواتم الفضة العديدة، فأمسك بها شريف ليقوم. أحاط مهدي خِصر شريف بذراعه وسار به خارجًا من الغرفة.

- العقار الذي حقنتك به سيُهدئ قليلًا الاهتياج الناتج من مس الشيطان لك، مما سيُمكننا من البدء في تدريبك.

قال شريف في وهن:

- تدريبي؟ على أي شيء؟

- على إطلاق قدراتك الزوهرية الحقيقة، وفي مناخ آمِن.

صمت شريف وسارَ معه عبر الأروقة الحجرية المُضاءة بالضوءِ الكرويّ الغامض، حتى وصلا إلى قاعة متوسطة الحجم، ذاتِ ستة أبواب حديديّة. الهواء فيها ثقيلٌ له رائحةٌ شبيهة بتلك التي تسبق العواصف الرعدية. زادت الإضاءة إذ دخلا، وأشار مهدي إلى رسم دوائر ست متداخلة في منتصف القاعة وقال:

- هذه هي قاعة العوالم الستة. في الكون أكثر من ستة عوالم، لكن للزوهري الملكي قدرة على التنقل بين ثلاثة منها، عالم البشر، عالم الجن، عالم الظلمات.

- والثلاثة الباقية؟

- الزمان والمكان والإمكان. لا يستطيع أحد التنقل بينها إلا الزوهري مريد الصالحين.

شرح له مهدي أن الزوهريين ثلاثة أنواع. الزوهري العام وهو مَن مسّه الجنّ وهو مولود، وله قدرات على معرفة أماكن الكنوز المحمية من الجنّ والسيطرة على الراصود الذي يحميها، ويفقد الزوهري العام قدراته بالبلوغ. دمه له قيمة كبيرة للسحرة، لكنه بلا قيمة لدى الجنّ. يحبه الشياطين لأنّه يشفيهم ويمد أعمارهم إلى حد ما.

- يمكنك القول أنّ الزوهري العامَ مُسّ عن طريق الخطأ. الحجاب بين عالمي البشر والجنّ واه، ويصير أكثر ضعفًا مع الزمن، ومع محاولات البشر المتكررة للتواصل مع الجن العاصي بغرض التسخير.

أضاف مهدي أنّ النّوع الثاني من الزوهريين هو الزوهري الملكي، وله صفات جسديّة، منها عين بلون باهت يرى بها جيدًا في عالمي الجن والظلمات، ضعيفة البصر في عالم البشر، ومنها اللسان ذو الشق الطولي، والشامة على الكف.

مد مهدي كفه لشريف ليرى الأخير شامة مماثلة لتلك التي على كفه.

- الزوهري الملكي قادر على التنقل بين العوالم الثلاثة التي ذكرتها، وهو وُلِد بنقل طاقة جنّ إليه بغرض تهجين نسلٍ قادر على أن يكون وسيطًا بين الأبعاد الثلاثة، يعيد التوازن إليها

كلما اختلّ، ودمه يمكن الشياطين من المكوث في عالم البشر دون جسد عائل لأشهر. يُقالُ أنّ شيطانَ الرعبِ مكثَ في عالم الضياء سنواتٍ بلا عائلٍ لأنّه كان يستنزف زوهريًا ملكيًا، ويقال أنّه كان يستنزف زوهريًا مريدًا للصالحين.

بعينين متسعتين محاطتين بالسواد، أنصت شريف إلى شرح مهدي للزوهري مريد الصالحين. أخبره ابن ديهيا الأسود أنّ مريد الصالحين يورّث صفاته الزوهرية إلى بعض نسله، وقد يرث الابن زوهرية كاملة، أو بعض صفاتها.

- تلك الصفات التي تطلق عليها أمك مصطلح «قدرات باراسيكولوجية.»

سأله شريف وهو ينظر إلى الأبواب الستة:

- وهذا الزوهري قادر على أن ينتقل بين ستة عوالم؟ ماذا عن عوالم الزمان والمكان والإمكان؟

- يستطيع الزوهري مريد الصالحين الانتقال من مكان أو زمان ماضٍ إلى آخر في لمح البصر، ويمكنه الولوج إلى عالم الإمكان.. ذاك الذي نُطلق عليها حديقة إلفيم. فيه مليارات مليارات الاحتمالات لمسار مستقبل البشرية، ومنه يستقي مريد الصالحين الحكمة والرضا.

- هل تعرف أيّ مريدِ صالحين يا مهدي؟

- لا. حتى شاع أنّ مريد الصالحين لا وجود له. مجرد أسطورة. تجسيد لأمل البشر في معرفة ما وراء هاته الأبواب.

قال شريف ساخرًا وهو يقترب من الأبواب ويمرر يده عليها:

- وأنا زوهري ملكي إذًا. نتاج تجارب الجن على البشر! رائع!

- ليست تجارب يا أخي. بل قُل طلب معونة.

صاح شريف غاضبًا:

- معونة دون استشارة؟! وُلِدت أساسًا دون أن يسألني أحد عن رغبتي، ثم عبث الجانُّ بي دون سؤالي، ثم اختار لي أهلي ملبسي ومشربي ومسار حياتي حتى أموت دون طلب رأيي! أي دمية أنا؟!

- دمية ذات إرادة يا أخي. لن تكون زوهريًا حقيقيًا دون إرادة.

- وأنت خطفتني -مرة أخرى دون سؤالي- كي تمنحني الإرادة، أليس كذلك؟

شبك مهدي أصابعه أمام صدره وصمت. ركل شريف الجدران والأبواب، وصرخ كما لم يصرخ من قبل، ثم أخرج الخنجر من غمده الجلدي ووضع النصل على عنقه.

- ماذا لو انتحرت الآن؟ على الأقل سأموت كما أريد!

رفع مهدي رأسه ونظر إلى شريف بعين سوداء وعين رمادية غائمة وقال:

- ماذا لو جرّبت قبل أن تنتحر يا أخي؟ أنت يائس، ولن تضرك المزيد من الأيام. على الأقل ستكون قد رويت

فضولك.

لمعت أسنان مهدي أبركان البيضاء في وجه الداكن، فزفر شريف وأعاد الخنجر إلى غمده، ثم هوى جالسًا في منتصف القاعة فوق الدوائر الست على الأرض. تربّع مهدي أمامه وقال له:

- ماذا ترى خلف هذا الباب؟

- لا أرى شيئًا. أي باب هذا؟

- جرب بابًا آخر..

ومضت ساعةٌ تلو الأخرى، وشريف يثور ويهدأ، يتأمّل ويتشتت، حتى أمسك رأسه وقال لمهدي:

- تعبت. ربما يساعدني بعض الحشيش على التركيز. كنت أرى في أثناء تعاطيه أمورًا غريبة، ربما كانت من عالم الجنّ أو الظلمات.

من جيبه أخرج مهدي علبة حفظ تبغ جلديّة وقال لشريف ملوحًا بها:

- لو نجحت دونها، سأعطيك منها.

مد شريف يده لها، فأسقطها مهدي داخل كُمّه كأنه حاوٍ. شعر شريف برغبة قوية في أن يصرعه ويأخذ منه العلبة، لكنه قاوم لا لسبب سوى أنه واهن، وسينتصر عليه مهدي دون أن يحرك جفنه حتى.

أغمض شريف عينيه وحاول مرة أخرى..

***

-٨-

أكتوبر ٢٠٢٣

سيوة

ينظر الحاج مدحت إلى ما حوله في النفق المحفور بين بيتي وبين جدار مملكة ديهيا. النفق مكسو بالأسلاك التي تبث مجالًا مغناطيسًا لتقييد الشياطين التي ربما أرغب في استحضارها في هذا المكان، والذي يُعتبر الجهة الأخرى من بوابة عبور الشياطين في قصر ديهيا.

- لماذا لا نحفر في هذا الجدار يا لاشين وندخل؟

- يمكننا الحفر في الجدار إلى ما لا نهاية ولن نصل إلى شيء. رَصَد قصر ديهيا على الجانب الآخر منه سيعطينا هذا الانطباع، ولن نتحرك مترًا واحدًا رغم شعورنا أننا نتحرك. هذا آخر ما يمكن حفره من النفق. هل تفهمني؟

- ليس بالضبط، لكني أفهم أن خلفه نوعًا من الخدع، أليس كذلك؟

- تقريبًا.

على الأرض أفرِد حزام ديهيا، وتحته حزام مهدي ذو البوصلة الذي وجده الحاج مدحت في سيارته، وأشير إليهما مُقارنًا.

- هذا المُرصّع بالأحجار حزام ساحر. لا أعرف أين حزام أبي

إن كان له واحد. أما ذو البوصلة فيبدو لي أنه حزام خاص بالزوهريين. انظر إلى اتجاهات البوصلة يا حاج.

يركع الحاج مدحت ليرى أن تلك البوصلة ستة اتجاهات، لكل اتجاه رمز مكتوب بالأمازيغية.

- أما الرقعتان الجلديتان اللتان وجدتهما في سيارة مهدي، فهما خريطتان. إحداهما لمكان مادي، والآخر لمكان طاقي، كلها معادلات لم أفك شيفرتها بالكامل، وإن كنت قد فهمت من بعض الكتابات إحداثيات ثمانية الأبعاد.

- ثمانية؟! معذرة يا بُني، لا أفهم في هذه الأمور.

- لرصد جسم يتحرك في عالمنا، نحتاج إلى أربعة إحداثيات، الارتفاع، والطول، والعرض، والزمن. ما في مخطوطات مهدي إحداثيات مشروحة بالهندسة الإقليدية.. ما علينا. العالم الذي يشير إليه مهدي في المخطوطة هو عالم الاحتمالات اللانهائية، حيث كانت رحلته بحثًا عن جنيّة إلفيم في دهب.

ما خططت له هو محاولة استخدام حزام ديهيا للانتقال إلى عالم الجان، حيث يمكنني البحث هناك عن آل دهمان، علماء الجن الذين قابلتهم في مملكة ديهيا. يمكنني تهديدهم هناك بسلاح مهدي الذي يقتل الجن، وبما تعلّمته وحللّته من تجربتي السابقة في عالم الزار. يسألني الحاج مدحت:

- ما تخطط لفعله خطر يا بُني. هل تعتقد أن (الدقّة) التي صممتها ستعمل؟

- غالبًا ستعمل. لقد نقلت الإجزوسيا العتيقة –نص إخراج الشياطين من الأجساد- إلى صيغة رقمية، فلن أعجز عن نقل كلمات دقّة زار إلى صيغة ترددية. ماذا كنت تظنني أفعل يا حاج في ساعات حياتي الطويلة الوحيدة؟

قضيت ثمانية عشر عامًا من حياتي وحيدًا معزولًا، مارست تحضير الجن مرارًا وعذّبت منهم الكثير في بداية حياتي لاستخلاص معلومات ساعدتني في فهم عالمهم وفي بناء معملي المُحصّن. ربما أحكي في كتاب آخر عن هذه التجربة، لكني صدقًا قد عاهدت نفسي على ألا أعذب أو أؤذي أي كائن مسالم منذ عادت سهير لحياتي، لذا.. ليس أمامي سوى التهديد ولَي الذراع.

أربط حزام مهدي حول خصري، وأدير حزام ديهيا. أنظر إلى الحاج مدحت فأجده يتشبث بالجدار في رد فعل تلقائي، وتتسع عينيه. أقول له:

- معك ساعتي وشالي والخريطة. تذكّر التعليمات جيدًا. أعتقد أن أسامة على وشك الوصول.

- أتمنى أن تفلح خطته، وإلا ضعنا جميعًا.

***

رفض أسامة أن يتعاون معي –أنا لاشين- أو أن يقابلني أو يتحدث إليّ، لكنه رحّب بأن يساعد في إنقاذ ابنه بالطريقة العادية البشرية، وله الحق في كل ما سبق. أعرف أن خطته

سخيفة إلى حد لا يُصدّق لكنني ساعدته قدر استطاعتي. الرجل سيموت لو لم يفعل شيئًا لإنقاذ ابنه.

وصل أسامة إلى سيوة فجر اليوم، ومكث هناك في مقهى سياحي حتى جاءه الحاج مدحت ليذهب معه إلى حيث يبدآن خطتهما بالتزامن مع انتقالي بحزام ديهيا إلى عالم الجن.

دعني أذكركم أولًا أنني ذكرت في كتاب سابق أن في مملكة ديهيا بشر يعملون في المطبخ ويحتاجون إلى تواصل دوري مع المدينة. مدخل المطبخ نفسه غير مخفي بالرّصد، ويقع فيما يعرفه بعض المحليون هناك بـ«التكيّة»، وهو مكان يعرفون أن أحد الأخيار يُدعى الشيخ مهدي أقامه لإطعام الفقراء. المكان يقوم بعمله في إطعام الفقراء وإيوائهم بأجر رمزي لفترات قصيرة، لكنه الجناح البشري لمملكة ديهيا، وما يظهر منها للأعين.

في هذا المكان يلتقي مهدي أبركان باعتباره رجلًا تقيًا بأهل المنطقة، ويسمع منهم أخبار أي نشاطات غريبة. الناس هناك تثق به، ونحن نعرف جميعًا أن لصوت مهدي العميق، وهدوءه، ولكنته المغربية الخفيفة تأثيرًا مُطمئِنًا، خاصّة عندما يخفي أسلحته تحت عباءته.

مهدي يعرف شكل أسامة والحاج مدحت بالطبع، وكان على أسامة أن يقبل بمساعدتي إن كان يريد تنفيذ خطته البطولية –شديدة الحمق والارتجالية- تلك. أعرف أن خطتي وخطته

بها ثغرات هائلة، لكن الوقت ضاغط، ولا نعرف أين شريف ولا ما يحدث له. لو أطلقت العنان لتشاؤمي لقلت أننا لن نعود جميعًا. لهذا السبب طلبت من الجميع ألا يخبروا مهاب أو حسن بشيء. ربما تفقد سهير عمها وابنها وزوجها –السابق- خلال الساعات القادمة.

أوقف الحاج مدحت سيارته قرب التكيّة، ولم يرها أحد بسبب الرّصد الذي وفّرته لها الساعة. نزل الرجلان، وأخرج أكبرهما سنًا شالي المنقوش برسومات شعبية مصرية، والذي وجدته ضمن حاجيات أبي التي كانت مدفونة في أرضنا. في البداية كنت أظنه شالًا عاديًا يلفه أغلب ذوي الأصول الصعيدية حول أعناقهم لاتقاء البرد، أو لإضفاء هيبة وأناقة، لكن في عام ٢٠١١ –وهو موقف لم أذكره من قبل- كانت أولى رحلاتي مع مهدي أبركان لاصطياد ساحر، وتوزيع مقتنياته بيننا كما هو غرف السحرة. كنا في الشتاء، ولففت كتفيّ بالشال ومشيت نحو مهدي الذي كان يجهز سكاكينه. سألته عن شيء، فنظر لي وعقد حاجبيه، ثم كاد يقتلني بسكينه وأنا أحاول أن أفهم سر جنونه المفاجئ. بعد حيرة دامت نصف ساعة، فطنت إلى أن الشال هو السبب.

قال أسامة ساخرًا وهو يأخذ الشال من الحاج مدحت كأنه يأخذ منه جلد أفعى:

- طاقية الإخفاء حقيقية إذًا.

- ليس طاقية إخفاء. أخبرتك من قبل أن النقوش عليه

ليست عشوائية، بل طلاسم تجعل بين الجن ومُرتدي الشال سدًا يغشي أبصارهم.

مهدي نصف جني، لذا لم يستطِع رؤيتي كما أنا. وصف لي مهدي لاحقًا أن الشال لا يخفي مرتديه، إنما يغير شكله إلى هيئة مختلفة تُقنع العقل أنها بشرية، أي ببساطة رآني مهدي رجلًا غريبًا. قال لي: «لا بد أن الشال من إبداع جن آل دهمان. لديهم ما يستطيعون به تغيير الطاقة المحيطة بالأجسام المادية عامة لتغيير هيئتها في أعيُن المُستقبِل. هذا الشال يغير الطاقة في أعين الجان. لقد صُمّم خصيصًا لحماية البشر من الجن.»

حتى الآن أتساءل عن سبب صنع الجن لسلاح كهذا ليحمي البشر من أعينهم، وأتساءل عن سر وجود هذا الشال مع أبي، وفي أي شيء كان يستخدمه.

لف أسامة الشال على كتفيه، فكوّر أنفه ضيقًا من رائحة عطري الملتصقة به. أزال الحاج مدحت الرصد من حول السيارة، وأقامه حول نفسه، فسار مع أسامة غير مرئي حتى وصلا إلى مدخل التكيّة حيث سيارة نقل لحوم مكيفة تقف أمام المدخل، ويحمل الغمال منها اللحوم إلى داخل باب في صدر ساحة التكيّة.

قال أسامة للهواء جواره:

- لماذا لا تعطيني الساعة فأدخل متخفيًا، وتأخذ أنت الشال اللعين؟

- هذه أمور سحرية لا تعرفها.

استجمع أسامة شجاعته، ودخل بين العُمّال ينتظر دوره في حمل البضائع. سأله العامل الواقف داخل ثلاجة نقل اللحوم وهو يناوله صندوق:

- أنت جديد؟

- نعم.

هتف قائلًا لآخر في عمق السيارة:

- ها هو رجل في عمر أبيك يمارس هذا العمل الشاق. ألم أقل لك أن الأزمة طاحنة؟ الكل يكلم نفسه. الألف جنيه لم تعد تشتري حفاضات أطفال حتى.

حمل أسامة الصندوق الثقيل على كتفيه، وهو ينظر إلى ما يظنه مكان الحاج مدحت الخفي.

ينتهي دور عم سهير الطيب عند التأكد من أن أسامة قد دخل بالفعل، ثم عليه أن يعود لي. لا يمكنه دخول المملكة بالرّصد وإلا أخلّ بالرّصد الرئيسي وانكشف أمره كما ذكر هو لأسامة.

دخل أسامة إلى حجرة ضخمة مكيفة، ووضع الصندوق الذي يحمله، ثم راح ينظر إلى الأرجاء بحثًا عن مدخل المطبخ الذي وصفته له كما رأيته بقدراتي الشيطانية. المطبخ كما ذكرت خارج الرّصَد ويمكنني رؤية ما يجري فيه.

اتجه أسامة إلى عمق الحجرة محاولًا التخفّي عن أنظار

العمّال.

باب المطبخ غير موصد، والجلبة من خلفه مصحوبة برائحة طعام فطور شهي، مخبوزات، بيض، فول، بطاطس مقلية. هذا مطبخ فندق لا مملكة سحرية.

أحيانًا يحتاج المرء إلى قليل من عدم الواقعية كي لا يُذعَر، لكن ما يحدث أمام أسامة واقعي وطبيعي إلى درجة أرعبته. هل يعرف من يعملون هنا حقيقة عملهم؟ أم أن غطاء التكية يظلل على الجميع؟

دفع أسامة باب المطبخ، واتجه إلى أقرب مَن وجدهم، وسأله كما وجّهته عن الشيف علي خليل الذي يدير المكان. ناداه العامل، فجاء رجل سمين قصير.

- أرسلني الشيخ مهدي للعمل هنا.

- لكني لم أطلب أحدًا.

- أرجوك. أحتاج إلى أي عمل.

- لكن سنّك..

- صحتي جيدة. جرب..

نظر الرجل إليه في شك، ثم قال له:

- اجلس هنا. سأنتظر مجيء الشيخ مهدي لأتحدث معه في شأنك.

كان هذا متوقعًا. كل ما أردته أن يمكث أسامة في المطبخ

ويراقب ويتحيّن فرصة العبور من الباب المؤدي إلى داخل المملكة. لاحظ أسامة أن العاملَين اللذين يعبران الباب الحديدي المنقوش يعلقان ما بدا له حجابًا حول عنقيهما. لا بد أن هذا ما يمكنهما من العبور.

هنا تأتي المرحلة التي أخشى أن أسامة لن يقدر عليها.

سار أسامة خلف أرفف الوجبات المتحركة على عجلات بارتفاع خزانة، حتى وصل إلى قرب الباب وانتظر. جاء أحد العامِلَين يدفع أمامه واحدة من تلك الأرفف، ينفث ما عليها من طعام حرارة أسالت العرق على وجه أسامة. أخرج من جيبه زجاجة الكلوروفورم ومنديلًا، وصب من الأولى على الثاني وراح يرتجف كأنه مصروع.

العامل يدفع الباب المنقوش ويحبته، ثم يعود إلى الأرفف ليجرّها إلى الداخل. لو تأخّر أسامة ربع دقيقة أخرى لضاعت الفرصة، وسيتوجب عليه الانتظار ربما لدقائق أو لساعات حتى يعود العامل، أو تحين موعد الوجبة التالية، أو يأتي مهدي أبركان.

***

-٩-

أكتوبر ٢٠٢٣

مملكة ديهيا

يرتمي شريف على الأرض فوق الدوائر الست المتقاطعة. رأسه يكاد ينفجر. كيف يتخلى عن ماديته لينتقل إلى عالم لا يعرف عنه شيئًا ولا يتخيله أساسًا؟

رفع عينيه إلى مهدي المتربع إلى جواره وهمس:

- سيجارة واحدة. ستساعدني.

- الطريق مظلم يا أخي. لا تضئ شمعتك وأنت في بدايته. توغَّل قليلًا دون مُعين.

- تعبت!

أعاد مهدي الشابّ المُرهقَ إلى غرفته، ثم قطع الممراتِ الحجريّةَ مسترشدًا بانجذابه نحوَ أكبر كنزٍ في المملكة، غرفة ديهيا الخاصة، التي دخلتها معها في زيارتي السابقة.

كانت الشمطاء جالسة على مُتكئٍ موشًّى بخيوط الفضة، تشربُ شيئًا من فنجانٍ شفافٍ لامع. ركع مهدي على ركبة واحدة أمامها وقال:

- أمي ديهيا. السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته.

ابتسمت ديهيا ابتسامتها الحزينة المعهودة، وسألته:

- كيف حال شريف؟

- ضعيف. بلا إمكانات إلا قدرة بسيطة على الشفاء لا أكثر.

- هل أخطأ جبر في اختياره إذًا؟

- هو زوهري بالتأكيد، لكن.. للأسف غير قادر على الولوج إلى أي عالم. ربما آذاه الحشيش.

- لا. ليس الحشيش.. مَش جبر؟

لم يمر بتاريخ السحر من قبل محاولة استحواذ شيطان على زوهري. جبر ليس مبدعًا فقط، بل جسور إلى حد لا يصدق، وطموح حتى ليُرعد فرائص أعتى الشياطين. كما أنا الأول والأخير، كان شريف ليكون الأول من نوعه لو نجح جبر.

لكنه لم ينجح والشكر لله تعالى. يكفي العالم ما فيه من مسوخ.

- استمر في محاولة مسح أثر الشيطان من جسده. واصبر يا مهدي. أصبر يا بُني.

أومأ مهدي طائعًا، وقبل أن يقوم تسأله ديهيا:

- القصر مُحصّن؟

- كما أمرتِ يا أمي.

- لم نمر بفترة حرِجة كهذه منذ.. منذ تجارب لاشين الأولى. يجب أن نعيد جبر إلى عالم الظلمات، لكن ما المقابل؟ ما الذي

نريده من عندهم؟ أريد أسيرًا ذا قيمة.

طلب مامون من ديهيا ومهدي من عامين تقريبًا مساعدتَه في نفي جبر إلى العالم الرقمي، عالم الإنترنت، وحبسِ جسده في تابوت حافِظ، وإسكان أغلب قواه في مرآة سحرية محفوظة في الفاتيكان. رغم ذلك استطاع جبر العودة، واستطاع فيما يبدو استعادة قوتَه تدريجيًا، فكيف فعل هذا دون الحاجة إلى المرآة؟ أم تُراه حصل عليها بالفعل؟ ومتى فعل هذا؟ بالتأكيد بعد رحلتنا للأردن.

ترك مهدي ديهيا، وعاد يسير بين الأروقة وقت توزيع وجبات الإفطار على غرف القسم الذي يقيم فيه البشر من المملكة، وهو القسم الأقرب للمطابخ.

قال له أحد الغمّال وهو يدفع أرفف الوجبات الخالية:

- سيدي، يبدو أن حسام تأخر في الدخول. القسم الأيسَر لم تصله الوجبات بعد.

أمره مهدي بالعودة لاستكشاف الأمر، ثم دخل إلى حجرة شريف ليجده متقوقعًا حول نفسه، يبدو عليه الذعر.

- هل أنت بخير يا أخي؟

- لا.. جبر.. جبر يهمس في أذنيّ طوال الوقت.

سأله مهدي في قلق:

- بمَ يهمس؟

- أخرجني من هنا يا مهدي. لا أريد المكوث هنا في المكان نفسه مع كل هذه المسوخ! رأسي لا يكف عن الطنين!

جلس مهدي على طرف الفراش، وأخذ محقنًا آخر من الصحفة الفضية، ثم مال يحق وريد شريف الذي أبعد ذراعه وصاح:

- بمَ تحقنني؟!

- عقار شبيه بعلاجات الفصام التي يستخدمها البشر أحيانًا في حالات زعم المَس، ويهدئ بشكل ما الأعراض.

- لكن أعراضي تزيد.

- بل تتحسن يا أخي. أنتَ لم تر نفسك عندما أفقت.

استسلم شريف مرغمًا، فربّت مهدي على رأسه وأخرج من جيبه علبة لفافات الحشيش وأعطاه منها واحدة وقدّاحة.

- لا تخبر ديهيا.

غمز مهدي وهو يعيد العلبة إلى جيبه ويرحل. أشعل شريف اللفافة وامتصّ منها الدخان بشراهة. أغمض عينيه وسعل مرارًا. هذا الحشيشُ يختلف كثيرًا عن ما اعتاد تدخينه، لكنه حشيش، وله التأثير ذاته.

أسند شريف رأسه إلى الحائط خلفه وفتح عينيه، ليرى أذرعًا بيضاءَ دخانيّة تخرج من الحائط خلفه وتحاول سحبه إلى ما خلف الجدار. تملّصَ شريف وصرخَ. ثبتته الأذرعُ مكانه. انفتح بابُ الغرفة ليرى شريف أباه يدخل غاضبًا،

يلطمه، ثم يجره خلفه من قذاله.

- أنت مسخ مثل أختك وأمك وعشيقها..

- لا تتكلم عن أمي بهذه الطريقة!

يبحث شريف عن الخنجر في جيبه، ثم يتملص من قبضه أبيه. يده الممسكة بالخنجر لا تشبه يده، بل يدي –أنا لاشين- بخاتمها والمسبحة الملتفة حول معصمها. يصرخ شريف، ودون سيطرة يغرس الخنجر في عنق أبيه، فيهوي أرضًا.

الأذرع البيضاء الدخانيّة تمتد خارجة من باب الغرفة، تقبض على قدمي شريف وتجره إلى الداخل. شريف يصرخ ويركل، ينادي مهدي.

يدخل مهدي مسرعًا ليجد شريف في حالة اهتياج، يحمله إلى الفراش ويقيده مرة أخرى. يتراقص ضوء المصابيح المستديرة الغريبة، ثم يخفت تدريجيًا، ويشعر مهدي ببرودة مفاجئة ورعب غير محتمل، فيغادر سريعًا.

***

-١٠-

أكتوبر ٢٠٢٣

المعمل- سيوة

الحزام لا يعمل.

حزام ديهيا لا ينقلني إلى عالم الجن كما نقلها قديمًا في أثناء مواجهتها مع جبر في شبابها(6) لكنه قادر على إزالة وإقامة الرّصد، ولم أجربه في غير ذلك. هل تعطّل الحزام أم أنّ بعضَ قدراته مرتبطة بمالكته فقط؟

لو أنّ أسامة قد دخلَ الآن، فهو في حكم المفقودين هو وشريف. دون وصولي لآل دهمان تصير فرصتهما في النجاة صفرًا.

أهرع إلى المعمل، فأجمع كل ما أستطيع في حقيبة ظهري، ثم أزيل الرصد وأخرج. أتصل بالحاج مدحت، فيجيبني:

- أسامة لم يدخل. لم يستطيع تخدير العامل وأخذ الحجاب وأرفف الطعام منه.

- جيد. استعِده الآن. لم أستطع الدخول.

- ثمة مشكلة أكبر. رئيس المطبخ هذا أمسك أسامة وهو مختبئ يترصّد بالعامل، وأرسل في طلب مهدي أبركان.

أطلقت شبّة، وطلبت من الحاج مدحت أن يمكث مكانه ولا يتدخل حتى آتي إليه.

أقود سيارتي بأقصى سرعة وأنا أفكر فيما عساي أفعل. الطريقة التقليدية ستنقذ أسامة. سأثير ذعر مَن في المطبخ وآخذ الرجل وأرحل، لكنها ستلفت النظر إلى وجودي. سيعرف مهدي على الفور أنني أخطط لإنقاذ شريف، وسيصف الطُهاة أسامة له، وربما يصفون الشال أيضًا.

تثير سيارتي الرمال عالية خلفها، لكني أرى شيئًا من هذه الرمال. شيئًا أخضر اللون.

مَن يسير وسط هذه الصحراء؟!

أوقف السيارة وأطل برأسي إلى الخلف في انتظار انقشاع السحابة الصفراء. الشيء الأخضر يتقدّم مني أكثر. هذا شخص لم أره منذ قرابة عشرين عامًا.

ناديته: «يا شيخ طاهر!» وحمل الريح صوتي إليه، لكنه لم يلتفت. ازدادت المساحة الخضراء من حوله، ثم سمعت صوت انفجار مكتوم، واختفى الرجل.

هرعت نحو المكان الذي اختفى فيه. هاتفي يرن في جيبي.

- يا لاشين، أسامة دخل القصر!

- ماذا تقول يا حاج؟ كيف؟!

- جاء العامِل الآخر الذي دخل لتوزيع الطعام، وأدخله معه ليعرض ما فعله على مهدي.

يا ربي! أقف وسط الصحراء حائرًا، أنظر إلى الموضع الذي كان الشيخ طاهر يسير فيه. الرمال مكوّمة في ستة أكوام

متداخلة، قطر الكومة متر تقريبًا. هذا تشكيل غير طبيعي.

الشيخ طاهر يفعل شيئًا هنا ولا أعرف ما هو. آخر مرة قابلته فيها كان غاضبًا مني، لكنّ زوهريًا في خطر، وفي مملكة ديهيا حيث جوّل الشيخ حولها لسنوات.

تهمس لي شياطيني:

«أنت فعلت ما تستطيع. في النهاية ستظل أنت المِسخ الذي أفسد ترابط العائلة، وأخل بتوازن العالم.»

- كفى..

«يا آدم. أبو الشاب بالداخل، وعم أمه بالخارج، وهذا الشيخ الغامض زوهري مثله. ما لنا ومال ما يحدث؟!»

- شريف.. شريف ابن سهير..

«وسهير تحب طليقها المترهل ولن تحبك مهما فعلت. راقب من بعيد، وإن تدخلت، تدخل بما يفيدك.»

- وماذا قد يفيدني فيما يحدث؟

«جبر يا آدم. جبر أسير بالداخل ولا عائل له. هل فكّرت فيما قد يحدث لو..»

لو التهمت جبر؟ أكثر الشياطين الذين عرفتهم خبثًا ودهاءً؟ جبر لا يحتاج إلى قواه الشيطانية المعزولة في المرآة ليحرك مَن حوله. جبر قادر على استغلال نقاط ضعف الأطفال والمراهقين ليعاونوه دون أي شيء سوى قدرته الفطرية على

الوسوسة.

جبر أخطر من شيطان الرعب..

***

-١١-

أكتوبر ٢٠٢٣

قصر ديهيا

يعدو مهدي في ممر القصر الرئيسي، تُرشده البوصلة الخاصّة إلى محبس الشياطين. صمم آل دهمان من الجن طريقةً لتغيير تصميم ممرات القصر كل نصفِ يوم، وعلى من يريد التحرك بين جناح البشر، ومحبسِ الشياطين، والمعامل، اتباعُ البوصلة. دونها يضلُّ الماشي في الأروقة حتى يجده أحد حرس النورانيين عند التفتيش نهاية كل يوم.

يرى مهدي -بعينه التي بهتت أكثر- ما لا يراه سوى الجنّ، فيعرف أنّ الحوائطَ الطاقيّة للمبنى تتذبذب، وكذلك الأضواء داخل الكُرات المُعلّقة فوق الممر لتضيئه.

لو أنّني معه لأخبرتُه أنّ الحاجز بين العوالم الثلاثة، البشر والجن والشياطين، يعاني خللًا مثل الذي حدث يوم نجح جبر في التحرر من الإنترنت والعودة إلى جسده العائل. ذاك الخلل كان مؤقتًا، وبدا لي أنّ الحواجز قد عادت، لكني كنتُ أعرف أنّها لن تعود بقوتها السابقة. في كل مرة يعبر شيطانٌ أو جانٌّ من أو إلى العالمين الآخرين، يتحلل الحاجز الطاقي أكثر.

ماذا عن العوالم الثلاثة الأخرى؟

حدث في يوم عبور جبر من عالم الإنترنت إلى عالمنا خللٌ

في عالم الإمكان، ورأينا نسختي لاشين وسهير من عالم الاحتمالات، عالم الإمكان(7) ذلك العالم الذي عبثنا فيه بما فيه الكفاية يوم قتلنا ملكة إلفيم.

يضع مهدي غطاءً على عينه السليمة –البشرية- فتصير عينه الزوهرية بيضاء تمامًا.

يهدر مهدي وهو يضع كفيه على باب حديديٍّ منقوش عند نهاية المدافن تحت قصر ديهيا، فتضيئا:

- بسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب. بحق العهد السليماني، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا.

ينفتح الباب، وينطلق طنينٌ يصمُّ الآذان، لكن مهدي لا يعبأ. يتقدم إلى القاعة المُظلمة، نحو الحوض الحجري المحاط بقضبان مسحورة مهشمة، وجبر غير موجود فيه. يسمع مهدي صوت تهشم تحت حذائه، فيرى مرآة ذات إطار من الزمرد واليشب. يرفعها ويديرها حول محورها. هذه هي المرآة التي حبست فيها ديهيا قوى جبر الشيطانية.

كيف دخلت إليه هنا، في محبس الشياطين الأسطوري؟!

لأول مرة يرتعد مهدي خشية عقاب ديهيا. يراجع الخطأ الذي ارتكبه منذ أطاعها وجلب لها شريف كما طلبت. بل منذ ساعدها وآل دهمان في تصميم هذا المحبس الفريد. عاد بذاكرته إلى يوم جاءها وعالية من المغرب سيرًا، فضمّتهما إلى صدرها، وصار على يديها الابن الأسود، قاتل السحرة الكفرة، الزوهري الملكي الذي يحفظ التوازن بين العوالم،

الشيخ مهدي أبركان الذي يحترمه البشر والجن. لم يخذلها ولو مرة واحدة، والآن..

تحصين قصر ديهيا يتداعى، وأحدهم أدخل إلى شيطان حبيس فيه مرآة كانت مخفية داخل الفاتيكان. خيانة عُظمى.. مَن الخائن؟

***

يسير أسامة خلف العامل بضعة أمتار، حتى يتوقَّف الأخير ويقول لأسامة حائرًا:

- هل تشعر بهذا؟

- بمَ أشعر؟

- البرودة.. الطنين..

كان أسامة يشعر بكل هذا، لكنه توقَّع أن يشعر بشيء غريب بالطبع داخل مملكة سحرية. عندما عرف أن الشعور غير مألوف، عاد إليه الرابط بين البرودة والطنين وبين تواجد الشياطين. غالبًا فكَّر في أنني نجحت في العبور إلى القصر، فاطمأن!

- انتظر هنا سيأتي أحد ليأخذك.

عاد العامل مرتعبًا إلى المطبخ، ووقف أسامة ينظر حوله إلى الجدران الشاهقة والكُرات المضيئة التي يتلاعب ضوئها باستمرار. سار أسامة بضع خطوات في الممر وهو يردد آية الكرسي.

رائحة المسك.. من أين تأتي؟

نظر حوله فلم يرَ أحدًا. عليه أن يتحرك بسرعة وإلا عاد العامل بمهدي.

فتح أسامة نسخته من الخريطة التي كانت مع مهدي، خريطة قصر ديهيا، والتي كتبت له فيها موضع الزوهريين كما أتذكره من زيارتي للقصر(8). لا أعرف أين الزوهريون بالتحديد، لكنهم في موضع قريب من المكان الذي كنت أمكث فيه، ومن قاعة استنزاف الدماء حيث الشياطين العبيد ينالون مكافآتهم. إن قابل أحد عليه أن يزعم أنه أحد الغفّال الجدد في المطبخ وأنه ضل الطريق.

هو الآن دون أرفف طعام، ولا ذريعة للدخول سوى الحقيقة، أنّ مهدي أبركان استدعاه.

اتجه شرقًا كما تدله الخريطة، ولو كان وافق على مقابلتي قبل التنفيذ، لتذكرت أن أخبره أن الرّصد قد يغير قليلًا الاتجاهات داخله، وأن ما يظنه الشرق هو الجنوب الشرقي، حيث عرش ديهيا.

***

يقف مهدي مُنكس الرأس أمام ديهيا المحاطة بثلاثة من النورانيين ذوي الأفواه العريضة والأجساد المُشعّة، والقدرة على اختراق الجمادات.

يتقدم النوراني الأضخم من مهدي ويمد قبضته نحو جسده

فيخترقه، ويقبض على قلبه. يصرخ مهدي. تشير ديهيا للكائن العبوس فيسحب يده، ويسقط مهدي على ركبتيه.

- كيف حصلت على المرآة يا مهدي؟

- أمي.. لست أنا..

- لا يعرف أحد مكان المرآة سوانا. لا يستطيع أحد الدخول إلى قاعة الأوراسيين في الفاتيكان سوانا.

- لست أنا يا أمي.. لماذا أحرر جبر؟!

- كيف عرفت مكان الساحر غُبيد مَج، كيف عرفت أنه يحاول إدخال جبر في جسد شريف؟

قال مهدي وهو يلهث ألمًا:

- أخبرتك يا أمي..

- لست أمّ أحد!

- أخبرتك.. ذو الرمح هو من قال لي أنّ جبر استعان به، و.. وقد وعدته ببعض من دم شريف إن خان جبر وسلمه لي. هكذا أكون قد جلبت لكِ شريف كما أمرتِني منذ سنوات، وأعدت جبر إلى محبس آمِن.

تجعد وجه ديهيا أكثر وهي تتقدم منه وتصلصل خلاخيلها وأساورها وزينة شعرها. قالت وهي تمسك ضفائره الطويلة وترفع وجهه ناحيتها:

- أنت الآن تتكلم مع الشياطين وتتفق معهم دون أن

تخبرني! من أكون يا أبركان؟!

- كاهنة الأوراس.. و.. أعظم ساحرة على وجه الأرض.

- آويتك أنت وامرأتك وعلمتك وجعلت منك سيدًا يا معدوم النسب، والآن تخطط من وراء ظهري.

- الرحمة يا أمي. امنحيني فرصة لإصلاح كل شيء. أنا بريء!

غادرت ديهيا القاعة، والتف النورانيون حول مهدي ·هم ليسوا جانًا وبالتالي لا سلطان له عليهم- وقيّدوه بقيود فضية مختومة، ثم ساقوه إلى الحبس.

لم أرَ النظرة في عيني مهدي أبركان الآن إلا في لوحة الفرنسي أليكساندريه كابانيل «الملاك الساقِط».

***

يدور أسامة حول نفسه، تؤدي به المسارات إلى تفريعات، والتفريعات تقود إلى ممرات، ولا تظهر أمامه أي حجرات أو أبواب. يعيد النظر إلى الخريطة، ثم يخرج هاتفه المحمول فيجد شاشته سوداء تمامًا. لا بوصلات ولا خرائط جوجل هنا. ينهار أسامة أخيرًا ويجلس حيث هو. البرد يتزايد ورائحة مقيته تزكم أنفه بعدما ابتعد عن رائحة المسك وعجز عن العودة إليها.

ينادي في غضب:

- شريف! أين أنت يا بُني!

تزيد حلكة نهاية الممر، كأنّ الظلام عباءة ضخمة تُسدل تدريجيًا على المكان. يُذعر أسامة ويقوم متراجعًا إلى الاتجاه الآخر.

«لقد ضاع ابنك يا أسامة.. أضعته بحماقتك وضعفك..»

يصرخ أسامة:

- من؟! بسم الله الرحمن الرحيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

يعدو أسامة تجاه اليمين، فيجد الظلام يهرع من خلفه ومن جهة اليمين كأنما يحاصره، فلا يجد بُدًا من الاتجاه يسارًا.

«زوجتك تحب لاشين الوسيم الشاب البطل. سينقذ ابنك بينما أنت تعدو في الطرقات كالأبله. مُت يا أسامة، الأمر بسيط. استسلم.. مُت..»

يكرر أسامة لنفسه أنّ هذه وسوسة شياطين. الشيطان يأخذ شطر الحقيقة ويبني عليها صرحًا من الأكاذيب. لا تقربوا الصلاة وأنتم شكارى، لا تقربوا الصلاة إلا وأنتم مستعدون، الصلاة الحقيقية بالقلب لا بالطقوس، الصلاة ليست فرضًا، من قال أنّ النّبي نبي؟ من قال أن الأنبياء حقيقيون؟ من قال أن الله موجود؟

يتعوّذ أسامة بالله من الشيطان الرجيم. يردد لنفسه أنّ لاشين قوي حقًا، لكنه ليس أبا شريف وليس حبيب سهير. لقد طلق سهير وهي غاضبة منه، ولها الحق في هذا، ولو أنّها تريد

لاشين لذهبت إليه.

يعدو أسامة هربًا، ثم يتوقف ليواجه الظلام. إلى متى سيهرب؟ إلى أين؟

- ما أنت؟! أي شيطان أنتَ؟

- تعرفني يا أسامة وإن لم نلتقِ. يمكنك أن تُنادِيني.. عمو جبر.

***

يدخل النورانيون إلى عنابر الزوهريين. مئات الأطفال من غمر الحبو إلى المراهقة. فتيات وفتية يرتدون الأخضر، كل يعيش في غرفة صغيرة منفصلة.

ينظر الأطفال إلى الكائنات في هلع. يصرخون. تضيء أيدي بعضهم، وتبهت أعين البعض، لكن أغلبهم يحاولون الفرار.

يهتف النورانيون بصوت رقراق كالماء:

- لا تخافوا. هيا معنا. سننتقل إلى الحديقة العلوية.

لم يرَ الأطفال الزوهريون من سكان مملكة ديهيا إلا مهدي وعالية ومَن يجلب إليهم الوجبات. يلمحون عالية في الركن محاطة بالنورانيين، يحجبونهم عنها. ينادي أحد الأطفال:

- خالتي عالية، ماذا يحدث؟

- لا تخافوا يا أحبائي. أنا معكم.

لكنهم لا يرون القيد الذي يربط ساقيّ عالية تحت عباءتها

الطويلة. لو أرسلوها للحبس مع زوجها الآن لفزع الأطفال أكثر وصارت السيطرة عليهم مستحيلة.

يسير الأطفال في الممر الطويل خلف النورانيين، ووراءهم عالية تغرق عينيها الدموع. هؤلاء أبناؤها الذين لم تنجبهم، ولن تفعل بعدما حرمتها ديهيا من الإنجاب كي لا يصير لمهدي نقطة ضعف. لأجلهم ولأجل مهدي تحمّلت استنزاف دمها لسنوات، لكن في النهاية يكون مصيرها الحبس، وربما الإعدام.

مهدي خائن؟ تفكر عالية في أنّ مهدي إن خان فلن يخون أمه ديهيا التي لم ينس لحظة فضلها عليه. مهدي يعشق ديهيا، ولو أراد قتلها لقتلها. لو أراد الاستيلاء على كنوزها لفعل.

لكنها تكره ديهيا، تكره ما حرمته منها، وتكره عبودية مهدي لها، ولطالما رأت هذه النهاية في كوابيسها وحذرت منها مهدي الذي قال لها:

- لن تعدمنا يا حبيبتي. لن يتركنا أهلنا من جن أبناء طارَش.

لكن يبدو أنّ السنوات قد أكدت أنْ لا أهل لهما. هما ذئبان وحيدان واستغل العالم وحدتهما.

ثم تذكرت عالية شريف. أين هو؟

نظرت حولها إلى أرجاء الحديقة فوق سطح القصر فلم تره. هذا هو البشري المتبقي هنا. أم ثراهم نسوه؟ قال لها النوراني

ذو الفم الواسع:

- امكثي مع الأطفال. لن تستطيعي الهرب إلى أي بُعد طاقي آخر وهذه الأغلال حول ساقيكِ. لا تُشتتي نفسك عن حراستهم. الشيطان الطليق شيطان مُغوٍ للأطفال.

تعرف عالية أن جبر هو الطليق، وتعرف أن مهدي ليس خائنًا.

وأن ديهيا لا تريد من شريف سوى أن يكون بديلًا لمهدي. شريف زوهري ولي الصالحين، وقد تأكدت ديهيا من ذلك لأنّ الزوهري ولي الصالحين يرث موهبته، وعائلة شريف كلها ذات مواهب زوهرية مختلفة القوة. شريف بديل مهدي الأقوى والوحيد القادر على مد مملكة ديهيا في الأبعاد الثلاثة الأخرى، وأهمها عالم الإمكان.

هكذا ستصير ديهيا سيدة العالم بحق، وأعظم ساحرة مشت على الأرض.

لم يصدقها مهدي عندما أخبرته بذلك، لكنها قالت له:

- الوقاية خير من العلاج. ديهيا لن ترغب في شريف لو فقد قدراته.

- ماذا تعني يا عالية؟

- أضعفه. لن أطلب منك قتله، أنا أعرف أنك لن تقتل بريئًا. أضعفه يا مهدي حتى تشك هي في صحة ظنها.

حاول مهدي خلال السنوات الثلاث الماضية –منذ دخل

حياة شريف- معرفة حدود موهبته، فرافقه طوال الوقت، وزعم أمام ديهيا أنه يحاول إقناعه بالمجيء إليها طواعية. حتى عرف من ذي الرمح أن جبر يحاول الاستحواذ عليه.

وسوس له ذو الرمح: «شريف سيأخذ مكانك لا محالة لو استطاع جبر الاستحواذ عليه. آدم لاشين سيكون مجرد نملة مقارنة به. كائن خليط بين البشر والجن والشياطين، قادر على الولوج إلى العوالم الستة.»

هكذا، خان ذو الرمح جبر وأخبر مهدي بمكان الساحر، وظنّ مهدي أنه جاء لديهيا بشيطانها الفار وبالزوهري الذي طلبته. مهدي يحب ديهيا إلى درجة عبادتها والرغبة في فعل أي شيء فقط حتى ترضى عنه ويرى في عينيها تلك النظرة الأمومية النقية التي حُرِم منها في طفولته، بعدما خطفه السحرة في المغرب لفتح كنز بدمه، فانتحرت أمه حزنًا عليه.

والآن، تعرف عالية أنّ الخائن هو ذو الرمح، لكنه لم يخن جبر، بل خان ديهيا. نقل جبر إلى مملكة كاهنة الأوراس حيث شريف ومئات الزوهريين الآخرين، وجلب له المرآة التي تحوي قوته الشيطانية من الفاتيكان. لكن كيف أخرجها من هناك؟

لا يهم. المهم الآن أنّ شريف هو الزوهري الوحيد هنا غير المقيد، والقادر على إنقاذ مهدي وعالية والأطفال، وربما تدمير مملكة ديهيا بالكامل.

هذا أقل انتقام تستحقه الشمطاء.

***

أكتوبر ٢٠٢٣

سيوة

لم أكن أعرف وقتها بالطبع ما يحدث داخل رَصَد مملكة ديهيا، وعرفته لاحقًا لأكتبه هنا. لذا كنت فزِعًا. ما أعرفه أنّ أسامة بالداخل وشريف مخطوف ومهدي وديهيا بكامل قوتهما، وعليّ أن أتصرف وحدي ولا أعتمد على أن الشيخ طاهر يفعل شيئًا بخصوص هذا الأمر، فهو لم يفعل شيئًا طوال السنوات الطويلة الماضية.

الدوائر الست على الرمال تذروها الريح ببطء. هل هي بوابة إلى عالم الجن؟ ربما. ربما يعمل حزام ديهيا هنا..

أضع الحزام على الرمال وأديره، ثم أشغل بأعلى صوت على كاسيت السيارة تعويذة الزار لاستدعاء الجان، تلك التي حولتها إلى ترددات لا أصوات عادية.

لا أعرف ماذا أفعل، لكني أرتجل. لن أترك كل هؤلاء يضيعون.

أحدق إلى الرمال تحتي. تدور الدوائر ببطء حول نفسها، ثم يعلو لهب مزرق يحيط بي من كل جانب. يتجسّد اللهب على هيئة شبه بشرية، وأسمع صوتًا يسألني:

- آدم لاشين؟ نعرفك. ماذا تريد.

- بعد طلب العون والنجدة من الله سبحانه وتعالى، أطلب

العون والمشورة منكم يا آل دهمان. لكم مني الأمان.

ينظر الجني إلى الحقيبة المعلقة على ظهري، ويقول:

- افتحها.

البندقية التي تقتل الجان بداخلها. لو رآها لقتلني هو.

- في الحقيبة عصا سحرية، وحزام وسلاح غنمتهما من زوهري، وخرائط ومخطوطات، وخاتم زيران. هل تريد رؤيتها؟

- سلاح الزوهري والحزام كانا مملوكين لمهدي أبركان، ونعرف أنّ سيارته معك بما فيها. فيمَ تريد عوننا؟

أحكي له الوضع، وأؤكد عليه أنني لا أريد شيئًا إلا إنقاذ شريف وأبيه، فيقول لي:

- ثمة شيطان طليق، ومهدي متهم بالخيانة، ونحن -ولأول مرة منذ مئات السنوات- ممنوعون من الدخول إلى المملكة. منعتنا ديهيا كي لا ننقذه أو ننصاع لأوامره. بل نحن متهمون بمنحها علمًا ناقصًا أتاح للشيطان الهرب مرتين.

جبر طليق في المملكة و.. ما هذا الجنون؟! أسامة وشريف بالداخل وسط كل هذا؟

- أريد الدخول إلى القصر حتى لو لديكم طريقة غير مأمونة. أنتم من صنعتم الرصد! المرأة جُنّت ولن تسكتوا على تخوينها لكم!

تضحك شياطيني ولا أضحك أنا. أعرف أنني أوسوس له بخيانتها، لكن لي أسباب قرية تدفعني للوسوسة.

- هات هذه الحقيبة بما فيها، وخذ عصاك.

- والحزام. أحتاج إلى الحزام.

- لا. لن تأخذ شيئًا آخر منها من صنع الجن. أقسم بالله العلي القدير أنْ أعيد لك الحقيبة سليمة بعدما تخرج. هذا شرطنا.

سلّمته الحقيبة على مضض، فركع وأخذ حزام ديهيا يعبث فيه. سألته:

- لماذا لا يعمل الحزام معي؟

- لقد غيّرنا الكثير في تأمين القصر والرّصد، ولم يعد هذا الحزام قادرًا على إزالة رصد المملكة بالطبع بعد هربك منها، ولم يعد له القدرة على نقلك إلى عالم الجن. مجرد حزام سحري قادر على إخفاء الأماكن والأشخاص.

-مثل الساعة التي منحها لي مهدي. بالمناسبة، لماذا صنع لي هذه الساعة؟

- لأنّه لم يكن يريد لديهيا أن تعثر عليك. مهدي يخشى على مكانته عند ديهيا ولن يسمح لأحد بالاقتراب منها. حتى شريف.

ابتسم الجني ابتسامة غريبة وهو يعيد لي الحزام ويقول: «أحدث أكبر قدر من الفوضى، ولا تقلق على الزوهري.»، ثم

يتحول إلى لهب يخمد بعد لحظات. لماذا أخد مهدي شريف إلى ديهيا ما لم يكن يريده أن يأخذ مكانه؟ هل.. هل سيهرّبه كما كان يخطط لتهريبي في السابق؟ لكن مهدي محبوس الآن..

يجب أن أسرع.

***

-١٢-

أكتوبر ٢٠٢٣

مملكة ديهيا

يتملص شريف من قيوده دون جدوى. يشعر بذعر بلا مبرر. الأضواء تتراقص والبرودة تزداد.

يهمس:

- لاشين؟ أهذا أنت؟

يُفتَح الباب، ويدخل منه رجل مُلثّم يرتدي الأخضر. يكسر قيود شريف بقوّة لا تتناسب مع التجاعيد التي تحيط عينيه.

- مَن أنت؟

- شريف يا بُني. أنت زوهري، ولا يهم أصولك وكيف أصبحت على ما أنت عليه. ما على جسدك لحم وما يسري في عروقك دم. أبوك وأمك بشريان، ويمكنك أن تكون زوهريًا لو أردت، لكن لا تنسق إلى غير معركتك. ما نعيشه يا بُني هو المعركة القديمة بين البشر والشياطين. معركة الفوز في الآخرة. معركة التمشك بالبشرية التي اختارها الله جلّ وعلا لنا. لقد سجدت الملائكة لآدم تشريفًا يا شريف، ولم تسجد لجني أو شيطان أو أي مخلوق آخر، إلا عبادةً للخالق الواحد.

- لحظة.. من أنت؟

- يدعونني الشيخ طاهر. لست هنا لإنقاذك، بل لمنحك

الحرية الحقيقية يا بني.

رمى الشيخ طاهر القيود المهشمة على الأرض وأضاف:

- قوتك الحقيقية هي ما ميزك الله بها عن سائر خلقه، في عقلك. لا تجعل أحدًا يسلبها منك. أنت تفهمني، أليس كذلك؟

- أفهمك، لكن الحشيش..

- الحشيش، الخمور، مُغيبات العقل كلها تسلبك مزيتك البشرية الكُبرى. ما رأيته تحت تأثيره كنت لتراه دونه لو آمنت بعقلك. كل ما لا ينبع منه وهم، يسيطرون به عليك. تذكر ذلك.

ثم أعطاه الشيخ طاهر كتابًا، فتحه شريف ليجد فيها عباراتٍ ورسوماتٍ ومخطوطاتٍ.

- قضيت حياتي أكتب هذا الكتاب سرًا، وفيه خلاصة ما أرشدني إليه عقلي وتجاربي، وفيه ما قد يهمك ويهم عائلتك عندما تخرج من هنا بإذن الله. كل هذا من علم الله، يؤتيه من يشاء. في حفظ الله يا بني.

خرج الشيخ طاهر مسرعًا، ناداه شريف وهو يُقلّب الصفحات. باب النذور.. باب الارتقاء.. باب رؤية الظلمات والنور.. باب الحماية.. باب الأذكار..

وفي منتصف الكتاب خريطة مطوية، مرسوم فيها ست دوائر، في كل دائرة رسم. في واحدة بشر وأشجار، وفي أخرى جبال شاهقة سوداء كأنها مُدرجات، وأرض مُشققة

أسفلها، وفي ثالثة متاهة متفرعة، وفي الرابعة سحاب ومخلوقات مُجنّحة وذات حراشف كالأسماك، وفي الخامسة ساعة رملية، وفي السادسة طبقات سبع بينهما نقوش دقيقة لم يميزها شريف.

لا بد أنّ هذه هي الأبعاد أو العوالم الستة.

بين كل دائرة وأخرى جسور مرسومة، كأنها شبكة معقدة. على ظهر الخريطة مكتوب:

«يجلس المُريد ويتنفس بعمق ثلاثًا، ثم يسحب الإحساس من قدميه حتى لا يشعر بهما. ثم يتنفس أربعًا ويزفر طويلًا، ثم يسحب الشعور من ساقيه صعودًا إلى حوضه..»

وتستمر الإرشادات كأنها تمارين تأمُل مما يسمع بها شريف طوال الوقت. الشيخ طاهر يعرف أنّه زوهري، ويمنحه الطريقة الصحيحة للعبور إلى العوالم المختلفة.

في نهاية التمارين تحذير. «يجب أن يعرف المُريد أن العوالم الباطنيّة محجوبة لحكمة عُليا، وعليه ألا يتحرك بينهما إلا مضطرًا، معاهدًا الله على ألا يعود إلى هذا الفعلة، وإلا عددناه نحن المُريدين من الفَسَقة، والله تعالى أعلى وأعلم وعليه قصد السبيل، ومنه الهداية.»

مهدي من الفسَقَة؟ هل يعرف هذا؟ أم أنّ ديهيا هي من دفعته لممارسة هذا العمل الخطِر؟

يحمل شريف الكتاب ويخرج إلى الممر، فيشعر بتواجد

شيطاني مرعب. هذا جبر. يشعر به كأنه جزءٌ منه.

يسير شريف بضع خطوات، فيرى الظلام يُسدَل تدريجيًا مقتربًا منه. هذه الحلكة المميزة للتواجد الشيطاني. ألم يؤسَر جبر؟! كاد يدخل إلى غرفته مرة أخرى لولا أن رأى..

- أبي!

لا زالت الهلوسة حاضرة في عقله. سيشتمه أبوه ويجره من قذاله. لكن لا.. عليه أن يتمسّك بعقله. ما يحقنه به مهدي وما أعطاه له على أنّه حشيش يؤثر عليه. هتف أسامة وهو يمسك الشال بين يديه:

- شريف! اهرب!

يهرع شريف نحو أبيه، فيمسك بكفه ويعدو معه إلى الاتجاه المقابل.

- إلى أين يا شريف؟ هل تعرف الطريق؟

لم يكن شريف يعرف شيئًا، لكنه ظلّ يحاول تذكُّر أي مما كان يردده مهدي أمام الشياطين لتخضع أو تهدأ قليلًا. وقف شريف مواجهًا الظلام الذي ينطلق منه ضحكات تزلزل الجدران ودفع أباه ليقف خلفه، لكن أسامة أحاط كتفي شريف بذراعه وضمّه إليه.

- ماذا تريد يا جبر؟ لم تمسّني دون ساحر. فماذا تريد منا؟

اجتمع الظلام تدريجيًا على هيئة مارد ذي قرنين ضخمين يملأ الفراغ من السقف إلى الأرض ومن الحائط إلى الآخر.

قال جبر:

- مَن قال أنني كنت أريد الاستحواذ عليك يا صغير؟ دعنا نسترجع الأشهر القليلة الجميلة السابقة. هل كنت تتذكر كل ما كنت تفعله وأنت تحت تأثير الحشيش الرائع الذي كان غُبيد مَج يعطِه لسيف؟ لا تتذكر طبعًا. العقل، الشيء الهلامي الوردي في جماجمكم لا يتذكر إلا ما كان يعيه. أنت من جلبت لي المرآة يا فتى وأنت في جلسات التأمل في المنتجع، وسلمتها لغُبيد مَج وهو أعطاها لذي الرمح.

عقد شريف حاجبيه وسأله بينما أبوه يرتجف ألمًا ويقبض على صدره بيده الأخرى:

- كل هذا لأجل استغلالي لأجلب لك المرآة؟ لكن قيل أنّ المرآة اختفت من الفاتيكان..

- شائعة أطلقتها ديهيا، ويعرف ذو الرمح أنّها شائعة. الشمطاء كانت تظن أنّ في وسعها الوثوق في شيطان.

- وبماذا سينتفع ذو الرمح من كل هذا؟

- عندما تنطلي الخدعة على مهدي ويحبسني في مملكة المرأة التي قيدتني، سيعطيني المرآة وأستعيد كامل قوتي، وقتها سنتقاسم أنا وهو المملكة بما فيها من زوهريين وشياطين حبيسة وجنٌ مُسخّر ونورانيين متجهمين. سنقتل ديهيا ونستولي على الأطفال الزوهريين الأحباء، وبهم أغزو الأبعاد الستة دون استحواذ أو أيٍّ من تلك الطرق القديمة، وسأحظى بدمائك يا صغيري شريف كي أظل متجسدًا في

عالمكم بشكلي الحقيقي كيفما أشاء. حرية لم يحظ بها شيطان قبلي، وملك ليس لأحد غيري. وقتها سأدمر عالم الظلمات بمن فيه، بكل من استعبدوني وعذبوني.

قال جبر العبارة الأخيرة في أسى مصطنع يبرع فيه. التفت شريف إلى أبيه الذي احتقن وجهه وهو يكبت الألم. تقدّم جبر من شريف وقال:

- والآن، ودّع أباك الذي ستقتله قطعة لحم ترفض أن تعمل بكفاءة.

وضع شريف يده على صدر أبيه، يحاول تخفيف ألمه، فضحك جبر، لكن ضحكته بُتِرت وهو ينظر إلى ما خلفهما. التفت شريف ليرى عالية تحدق إليه في رعب. قالت مترجفة:

- لـ.. لقد.. سمعت.. ما كنت تقول أيها الشيطان. لك المملكة بما فيها. أريد زوجي فقط.

- زوجك خانني.

- وتخلّت عنه ديهيا. ستحتاج إلى مهدي حليفًا لتعرف كل خفايا هذا المكان.

- سيخونني الزوهري.

فكرت عالية في يأس، ثم قالت:

- أنت وذو الرمح حليفان، اطلب منه أن يأخذ عليه عهد الدجالين. وقتها سيكون ملكًا لكما، تتخلصان منه متى شئتما.

تراجع جبر في استحسان، واتكأ على طرف جناحه وقال:

- زوهري ساحر.. جميل. وأنتِ؟ ماذا لديكِ لعمو جبر؟

- ستلوون ذراع مهدي بي. أنا الشيء الوحيد الذي يحبه مهدي بحق في هذا العالم. من دوني سيرحب بالقتل على يد ذي الرمح.

هتف شريف:

- هل جُننتِ يا عالية؟!

- كلنا ميتون يا شريف. بلا استثناء. لو أننا سنموت فلنمُت بعد إتمام ثأرِنا. سلّم لي ديهيا أقتلها يا جبر. لسنوات كنت أرافق مهدي في رحلات قتله السحرة الذين يستغلون الزوهريين، ولم يكن يسمح لي بالقتل. هذه المرأة تعذب مئات الأطفال لإرواء ظمأ عبيدها من الشياطين. خذ الأطفال واتركها لي.

الغضب في عيني عالية لاهب حتى أن جبر عجز عن الرد للحظات. قال أسامة وهو يتوسّد كتف شريف:

- لا تعاهدي شيطانًا يا ابنتي.

هتفت عالية:

- لنذهب إلى مهدي الآن قبل أن تقتله ديهيا. استدعِ ذا الرمح.

***

أدير حزام ديهيا ثم أرفع رأسي متوقعًا أن أجد نفسي في عالم الجن، لكني كنت في الصحراء حيث أنا، وعلى بعد ربع كيلومتر قصرٌ مهيب ضخم. قصر ديهيا.

الحزام أزال رَصَد قصر ديهيا وصار الآن مكشوفًا للبشر.

أركب سيارتي وأنطلق نحو بوابته التي يفترض أن يحرسها الراصود.

أجتازها دون مشاكل، وألاحظ وأنا أمرُّ بها شكلًا منحنيًا مسودًا محفورًا على الأرضية. شكل يشبه الثعبان الضخم.

أعتقد أن أحدهم قتل الراصود.

هذه هي الثورة على ديهيا.

القصر حجري بالكامل، ذو نقوش هجينة بين الأوروبي والأمازيغي. الطلاسم على كل حجر منه ثزيغ بصري قليلًا. هذه هي الدرجات العالية التي نزلتها وأنا أهرب من القصر برفقة موراخيا منذ ثمانية عشر عامًا. أشهر عصا جدي هاجوب لاجين، وأدخل. القاعة الفسيحة المُطلة على كهف تحضير الشياطين خاوية. أول ما خطر لي بما أنّ الرّصَد قد زال أن أتصل بأسامة.

- أسامة، أنا لاشين. الرصد قد زال.

- لاشين.. الشيطان جبر..

ثم يأخذ شريف منه الهاتف ويقول همسًا:

- أين أنت؟ جبر يقودنا إلى حيث محبس مهدي. لا أعرف أين.

- سأرسل لكم موقعي، افتح خاصية تتبع الموقع وأرسل لي مكانكم.

أغلقت الخط، واتصلت بالحاجّ مدحت وأنا أتجه إلى قاعة أحواض دماء الزوهريين.

- حاج مدحت، أنا في القصر. اطلب من العاملين في المطبخ مغادرته وإخلاء التكيّة سريعًا.

أغلقت الخط قبل أن أفسر أي شيء آخر، وفتحت برنامج تتبع المواقع. المملكة شاسعة حتى أن في استطاعتي رؤية حركة هاتف أسامة بدقة. يبدو أنهم متجهون إلى الشمال الغربي حيث الزنازين خلف القبور أسفل القصر.

قبل أن أدخل قاعة أحواض الدماء، أخرج سكينًا سويسريًا من جيبي ثم أقطع شريان ذراعي الأيسر.

«ماذا تفعل يا مخبول؟!»

كي تضطر الشياطين إلى مغادرة أحواض دماء الزوهريين، يجب أن تشعر بالخطر، ولن تشعر بالخطر طالما دماء الزوهريين حولها. أطوف بالأحواض وأنزف في كل واحد منها قليلًا من دمي. شياطيني لن تتركني أنزف حتى الموت، ستغلق الجرح، وسأفتحه مرة أخرى حتى أنتهي من أفساد كل الدماء.

أسمع غضب الشياطين العبيد وذعرها. أراها تتخبط في القاعة بحثًا عن مهرب أو عائل. أفتح الباب ذا الطلاسم، فتهرع خارجة منه تهيم في المكان، وتطلق طاقاتٍ عالية وهي تُحتضر أمام بوابة العبور المغلقة في الكهف.

أتجه بعد ذلك إلى الزنازين. المكان تغيّر والممرات اختلفت، لكني أسير على هدى حركة شريف وأبيه. بينما أسير، أستعيد بقدراتي الشيطانية ما حدث هنا منذ جاء شريف على الأقل. مهدي لم يخُن ديهيا.

ديهيا بشريّة، وما حدث معها وما حدث لديهيا الأمازيغيّة قدوتها يجعلها تصاب بواحدة من تلك الأمراض التي يعرفها أسامة جيدًا، ربما البارانويا. إن كانت ديهيا أقوى ساحرة، فهي امرأة سقيمة النفس، طال بها الغمر وأنهكتها الوحدة. لا زلت أرى فيها مستقبلي التعس الوحيد.

«آدم.. ذو الرمح خلفك!»

أشعر بجسدي ينزاح جانبًا، ويعبر الرمح من جواري إلى ظلام الممر. الكائن البشع الشبيه بالوطواط يقبع على بعد بضعة أمتار مني، وقد عاد إليه رمحه.

- عدوي القديم الصموت. ألم تنتهِ من أمر قتلي؟ أم أنّ علاقتك بديهيا التي أمرتك بعدم قتلي قد انتهت؟

يقترب الشيطان منّي زحفًا، ثم يحاول طعني مباشرة بالرمح. تقبض شياطيني عضلاتِ يدي، فأمسك بطرف الرمح قبل أن ينغرس في كتفي. بين وجهي وجه الشيطان البشع

أقل من نصف متر.

- أين ديهيا؟

أعرف أنّه لن يتكلم. أعرف أنّه يظل على هيئته الشيطانية لأنه ينغمس في أحواض دماء الزوهريين وقتما يشاء.

- لقد أفسدت الدماء في الأحواض، وأطلقت العبيد. هل تعرف أيضًا أنك لن تستطيع الحصول على المزيد من دماء الزوهريين لأنّه لم يعد أحد هنا يستنزفهم لصالحك؟

حاول جذب الرمح –الذي هو جزء من تكوينه- وفشل. بيدي الحُرة أحفر بأظفاري رمز الاستدعاء على جبيني.

- تعرف أين ستذهب أيها اللعين. هيا.. استسلم.

يحدق ذو الرمح في وجهي بعينين هما فجوتان مفتوحتان على الجحيم. شعور غير محتمل من الكراهية والحنق والغيرة. كتلة من العذاب الأبدي تتحداني.

- هيا أيها اللعين.

«لن يستسلم يا آدم. ذو الرمح غير أي شيطان آخر، ومكانته لا غنى عنها في عالم الظلمات»

- كلهم واحد. مهما علا شأنهم.

كما لاحظت خلال فترة وجودي في القصر، ذو الرمح لا يتجسد على هيئته الشيطانية أكثر من دقائق، بعدها يختفي. يعود إلى عالم الظلمات بإذن ديهيا ومن البوابة التي تُفتَح

بأمرها في الكهف، أو يغمر نفسه في الدماء.

دقائق مر منها ثلاث تقريبًا.

هيا أيها اللعين. لا ملجأ لك إلا جسدي.

***

مهدي مُقيد بقيود ذات نقوش بارزة، في زنزانة تحت الأرض، تُطل على منظر المقابر المقبِض.

يضيق عينيه وهو يرى شواهدَ القبور تنفجر والظلام الكثيف يزحف بينها، وضحكات عابثة مدوية ترجُّ الجدران فيهوي الثُّراب من السّقف فوقه. من الزنازين المجاورة، تضرب الخنازيز الحبيسة برؤوسها القضبانَ، وبعضها يقف على قوائمه الخلفية ويخور.

يهدر صوتُ جبر جذِلًا مرِحًا كأنما هو في يوم عيد:

- مولاي أمير الشياطين البنّائين، عزيزي راجمانوش، عزيزتي قائدة حرس بيمان.. خنازيري الجميلة! لقد جاء جبر ليخلصكم من عذابكم!

يرتفع الخنزير الرمادي السمين في الزنزانة المقابلة لزنزانة مهدي، ثم يلتف حول نفسه ويصرخ، صراخًا شيطانيًا مزعجًا قبل أن ينفجر جسده ويغرق مهدي بالدهون والدماء والأحشاء.

- نسيتم ما فعلتموه بجبر؟ كم أحبكم جميعًا حتى أنني أتمنى لو أنّ لي جسدًا ماديًا الآن فأستحم بأشلائكم العفنة.

ينفجر الخنزير تلو الآخر، ومهدي متكور في الركن، مغمض العينين، يضع كفيه على أذنيه. لحظات مرت من الشعور بأشياء دافئة نتنة تنهمر فوقه، تذكر فيها يوم خطفه السحرة كي يفتحوا بدمه كنزًا، فحوّلهم الراصود إلى أشلاء. تذكر دماء السحرة التي طالما استمتع بها على يديه وملابسه. تذكر خوفه وهو ينام في شوارع المغرب خائفًا بعدما هرب من بلدته.

مهدي بشري، ولو زعم عكس هذا. ما كان لجنّيّ أن تختلط فيه كل هذه المشاعر، ويرتد إلى طفولته في لحظة، ويتمنى لو غاص في صدر أمٍّ أو احتمى خلف ظهر أبٍ.

آخرُ ما تذكر مهدي ذكرى غريبة للغاية. تذكر شطيرة الكفتة التي تقاسمها معه شريف في أثناء رحلتهما بحثًا عن مملكة إلفيم. قال له شريف:

- صنع الحاجة مريم. كفتة لا يقدر أيُّ جنيّ على صنع مثلها.

ابتسم مهدي، ولم ينتزعه من هذه الذكرى سوى يد باردة توضع على خده.

- عالية؟!

ارتمت بين ذراعيه، ومن خلفه رأى شريف وأسامة الشاحب، والشيطان الهائل ذا القرنين الأسودين ينظر تجاهه.

همست له عالية باتفاقها مع جبر، فضمها مهدي أكثر إلى صدره، كأنّهم سيلوون ذراعه بها هنا والآن. هتف أسامة:

- مهدي.. الحياة لا تساوي أن تعيش وتموت كافرًا.

قال مهدي:

- تخلى عنا كل من عشنا لأجلهم يا دكتور. نحن لم نعش بعد.

- لأنكما عشتما لأجل أشخاص يا بني، لا لأجل معنى أسمى لعلاقتكم بهم.

-كفى فلسفة يا.. دكتور.

- ربما هي فلسفة، لكنها الطريقة الوحيدة التي يفهمها عقلنا، ويتحمل لأجلها المصاعب، ويحاسب بها نفسه على التقصير. المعنى.. ما معنى أن تعيش كافرًا؟

قال شريف:

- مهدي، أنا أعرفك أكثر مما تظن. أنا مثلك تمامًا. أفهمك.

تصنّع جبر البكاء وهو يقول:

- هذا كلام يصلح لمسرحية مدرسية عظيمة. قلبي الرقيق لا يحتمل، لذا أنا مضطر لمقاطعة هذا الفصل. هل تأخذ عهد الدجالين يا أبركان؟

- نعم.

تراجع جبر، وغمغم بلغة الشياطين ما معناه استدعاء لذي الرمح، لكنه لم يحضر.

نظر شريف لجبر وقال:

- يبدو أن مسألة الثقة في الشياطين تحتاج إلى مراجعة. ربما إلى فصلٍ من مسرحية للأطفال، أليس كذلك يا جبر؟

انساب جبر بين أطلال القبور التي بعثرها، حتى اختفى.

قال شريف:

- الشيخ طاهر هنا. زوهري.. لا أعرف أين هو تحديدًا لكنه قادر على مساعدتنا. لقد فكّ قيودي بجذبة واحدة.

تساءل مهدي:

- الشيخ طاهر هنا؟! كيف.. لماذا..

حكى شريف لمهدي سريعًا كل ما حدث، وأضاف:

- لاشين في الطريق أيضًا. لقد زال الرصد.

حاول مهدي بكل قوته نزع السلاسل التي تثبت الأصفاد إلى الجدار، فتعاون شريف وعالية على جذبها مرارًا حتى انخلعت إحدى الحلقتين من الحائط..

***

تجلس ديهيا على عرشها المكعب في قاعتها الخاصة، حولها قرابة مائتين من آل دهمان، يحيطون الشيخ طاهر. المرأة مقيدة بقفل ذي تروس غير قادرة على الحركة، وقد احترق تحت قدميها الطلسم الذي منحها إياه آل دهمان عند مغادرتها جبال الأوراس.

قال الشيخ طاهر:

- أنت يا ماري الكاثارية خرقتِ كل العهود، وأخللت بالتوازنِ الذي تدّعين. لا كلمة لك الآن على آل دهمان من علماء الجنّ وأشرافهم، ولا كلمة لك على الزوهريين الأحرار بعدما استعبدتِ اثنين منهم، وأسرتِ مئات بخداع أهلهم أنّك تحمينهم من السحرة. أنت ساحرة بالفطرة، امرأة ذات قدرات خاصة، علمك الأوراسيون وعاهدتِهم على عدم الاستعانة بالشياطين مثل السحرة الفسقة الفجرة. لكن ها أنت الآن تأوين وتعاهدين وتعاونين الشياطين دون عهدٍ حتى يجبرك على هذا. ما حكمك في نفسك؟

قالت ديهيا في كبرياء:

- ليس لأحد شأن فيما تفعل ديهيا.

جمع آل دهمان كل المخترعات التي أمدوا ديهيا بها، وخلعوا عنها حزامها وطلاسمها وحليها، فصارت امرأة متداعية عادية تجلس على مكعب أبيض بلا أي تفاصيل.

- لا يفلح الساحر حيث أتى. ما كان لك أن تكوني يا ماري الكاثارية.

قالها الشيخ طاهر، وتراجع خارجًا من القاعة مع الجان. ضحكت ديهيا وهتفت:

- هكذا فقط؟! لن تقتلني؟

- لست قاتلًا. أنت الآن بلا أعوان من أيّ نوع. غدت ماري الكاثارية قبل أن تدخلي الأوراس. بداية جديدة هداكِ الله

إليها.

- لماذا أتيت إذًا، والآن بالذات؟

لم يُجِب الشيخ، وخرج مع الجن، ثم اختفى في الهواء.

***

تمر الدقائق، وأسمع صرخات تفكك ذي الرمح وزواله. مستحيل. لم أقابل شيطانًا قَطُ يفضل الموت على العيش عبدًا حتى.

- استسلم!

يرتج المكان، وتتساقط الجلاميد فوق رأسي. أسقط أرضًا، وتحاول شياطيني مداواة كسر في كتفي بسرعة. حائط كامل يميل، فتتدحرج كرات الضوء من على الأرفف المثبتة إليه، وتنكسر فوقي. تنشق الأرض تحتي، ويمتد الشق إلى القاعة الرئيسية ومنه إلى الكهف حيث بوابة العبور.

اللعين يفر. كيف سيفعلها؟

رغمًا عني ينفلت الرمح من كفي، ويقطع أصابعي. أصرخ، يختفي ذو الرمح في سحابة ثقيلة خانقة. أسعل وأنا أمسك كفي. أتراجع بسرعة عن الشق الهائل.

هاتفي يرن..

- أين أنت يا لاشين؟

- فر ذو الرمح إلى عالم الظلمات. أنا آتٍ.

- الأطفال الزوهريون في الحديقة العلوية، وجبر يبحث عن ذي الرمح. لو لم يجده سيتجه إلى الأطفال بالأعلى.

سمعت صوت عالية تهتف:

- انفكت السلسلة!

قال شريف:

- الحق بنا إلى الحديقة العلوية بسرعة.

***

يقف الأطفال فوق سطح القصر، ينظرون في رعب إلى ما انكشف لهم مما خارج السور. بعض الرجال العاديين يدخلون البوابة الكُبرى، ينظرون حولهم في ذهول غير مصدقين، من بينهم رجل ضئيل الحجم يرتدي جلبابًا فاتحًا، وينظر إلى أعلى بعينين خضراوين واسعتين.

- يا أولاد. انزلوا.. لا تخافوا..

صاح أحد المراهقين بصوت خشن:

- ماذا يحدث؟ من أين دخلتم؟

- انزل يا بني مع الآخرين.

تنادي عالية على الأولاد من بعيد، فيهرعون نحو الصوت. يلتفون حولها وحول مهدي المتسخ بالغبار والأشلاء. يسأل مهدي:

- أين النورانيون؟

أجابت فتاة في بداية المراهقة:

- لم يعودوا مرة أخرى. هل سنرحل يا خالتي عالية؟

- هيا، سنرحل.

سأل طفل في الثامنة بلهجة شاميّة:

- والسحرة الأشرار الذين ينتظروننا بالخارج؟

قال مهدي مُطمئنًا:

- لن يؤذيكم شيء. هذا وعد.

ابتسمت عالية ونظرت لزوجها نظرة إعجاب ووله. غريبة هذه المرأة. يسأل أسامة:

- هل يعرف أيُكم طريقًا سريًا أو شيء من هذا القبيل؟ لا نريد أن يقابلنا أحد.

قال مهدي:

- أنا وعالية غير قادرين على الانتقال إلى أي بعد الآن مع القيود حول كواحلنا. شريف؟

فكّر شريف وأخرج كتابَ الشيخ طاهر من أسفل قميصه، وفكّر فيما قال الرجل. هل هو مضطر الآن لتهريب هؤلاء الأطفال؟ هل ستكون فعلته هذه بداية طريق لا يعلم سوى الله نهايته؟

فتح الكتاب والخريطة، ثم تربّع على الأرض. قال مهدي:

- معذرة يا أخي شريف. كنت أحارب في معركة خاطئة. كدت أؤذيك كي أحظى برضاها.

ابتسم شريف، فجلس مهدي إلى جواره، يُرشده إلى أقصر طريق.

***

الشق الممتد خلفي، والكيان الحانق المتلاعب أمامي.

جبر مرة أخرى، وربما أخيرة.

كم يستطيع جبر الصمود في هذا العالم دون دماء زوهريين؟ هل سيفر كما فرّ ذو الرمح؟ لا.. لن يعود إلى عالم الظلمات مهما حدث.

هاتفي يرن. لا وقت لهذا. يقول جبر:

- لا تغير رنّة هاتفك أبدًا. تذكرك بحبيبتك.

- كف عن هذا. لا ملجأ لك سواي.

- ما الذي يجبرني على هذا؟

أخبرته أنني دمرت ما تبقى من دماء زوهريين، وأن الأطفال الآن قد هربوا.

- كاذب!

- ما الذي يمنعهم من الفرار؟ لا شيء. الرصد زال.

ينادي جبر مرة أخرى على ذي الرمح كأنما لا يصدق ما

حدث. أسمع صوتًا من بعيد ينادي باسمي. الحاج مدحت! لقد دخل الرجل عندما زال الرصد! لا ينقصني سوى وجوده.

- لاشين. أين أنت يا بُني. لا حول ولا قوة إلا بالله.

صوت الرجل يقترب دون أن يدري. أضرب بعصا هاجوب لاجين الحائط، فتطبع عليه فورًا رسمًا متماثل الجهتين على امتداده وعلى السقف والأرض. يزأر جبر ويتراجع إلى الخلف. كلما تراجع، تزايدت العلامات أمامه كأنما تطارده.

- لن تفر يا جبر قبل أن تستلم لي. استسلم..

صوت الحاج مدحت يردد: «وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون.. يا بُني؟ هل أنت بخير؟ شريف.. أسامة..»

ثم اسمع صوت الرجل من ورائي.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! ما هذا! هذا هو.. هذا هو الشيء الذي أصاب مريم بالفالج بضربة من جناحه!

يضحك جبر وهو لا يكاد يرى، يتخبط في الحوائط ويضرب بجناحيه كبعوضة داخل صاعق.

- مدحت ومريم.. كان هذا منذ زمن طويل. لقد تدخلت الحاجة لتحول بيني وبين طفلة جميلة، فهل أتركها؟!

ثم تذكرت أنا شيئًا، ليس معي أي سلاح سوى عصاي، و..

- يا حاج، هات الساعة بسرعة.

يرمي لي الحاج مدحت الساعة، فألتقطها من الهواء. ليس في وسعي خلق مجال كهرومعناطيسي الآن، وحزام ديهيا سيضع رصدًا حول القصر كله، لكن الساعة.. استخدمت الساعة لإقامة رصدًا يحيطني والشيطان جبر. ليس أمامه سواي، ولن يتضرر أحد منه حتى يُخلى القصر. اختفيت والشيطان من أمام مدحت، فبسمل وحوقل، وأخرج هاتفه بيد مرتجفة واتصل بأسامة.

***

دوائر ست تُحفر في أرضية الحديقة العشبية. يهتف مهدي:

- سَمِّ الله.

ثم طلبت عالية من الأطفال أن يمسكوا بأيدي بعضهم البعض.

- ألن تأتي معنا يا خالة؟

- نعم لن آتي.. ستكونون في أمان. أغمضوا أعينكم ولا تفتحوها إلا بأمر شريف.

سأل شريف:

- ماذا سأفعل هناك؟ إلى أين سأذهب؟

أجاب مهدي:

- إلى عالم الجن. لا تمكث طويلًا هناك، ولا تكلم أحدًا. أنت زوهري مريد الصالحين، وسوف يتصارعون على نيل

رضاك وإغرائك بما لن يخطر لك ببال، خاصة بعدما حدث لـ.. للساحرة ديهيا. بمجرد أن تصل، عُد إلى عالم النور في أي مكان تعرفه جيدًا. أكثر الأماكن التي تعرفها أمانًا.

- وأنتما؟

صمت مهدي، فقال أسامة:

- لا تقلق يا بني. سأكون معهما. لن أغادر دونهما.

- أبي..

- هيا يا شريف. أنت أملهم.

***

راح الشيخ طاهر يطوف في الممرات مع الجان، يبحث في كل مكان عمن تبقى من سكان المملكة. وجد أحد عشر ساحرًا، وخمسة وثلاثين ممسوسًا، ومائتي أسير من أشقياء الجنّ والنورانيين، وقرابة ستمائة مخلوق بعضهم عاقل وبعضهم أقرب للحيوانات.

انشغل آل دهمان ومن تبقى من النورانيين الذي فر أغلبهم إلى موطنهم أعالي الجبال في إعادة كل مخلوق إلى مكانه عبر قاعة البوابات الست، ومن خلال المسارات التي تربط بينهم ولا يعرفها بدقة سوى الشيخ طاهر والزوهريين مريدي الصالحين.

صعد الشيخ طاهر أخيرًا إلى الحديقة العلوية، ليجد أسامة ورجلين مُسنين.

- أسامة.. كنت أعرف أننا سنتلاقى.

- شيخ طاهر..

- من معك؟

- رجلان من خدم ديهيا من البشر. طاهيان وجدتهما وقد ضلا الطريق.

- والأطفال الزوهريون؟

- مع شريف. هل الكتاب الذي أعطيته لشريف هو الذي ما أسفل حجرتك في السيد البدوي؟

- نعم. هو. لقد عاهدت الله سبحانه وتعالى ألا أعود لاستخدام ما فيه، لكني اضطررت له. ليغفر لي الله ضعفي وزلاتي.

- لقد أنقذت مئات الأبرياء يا شيخ.

عرف أسامة أنّ الرجل ابتسم من شكل عينيه الواسعتين الصافيتين. في ضوء الشمس الساطع يرى فيهما أسامة شيئًا لا يستطيع تحديده. ألفة غريبة وطمأنينة.

قاده الشيخ طاهر ومن معه إلى خارج القصر، ولم يعرف –ولن يعرف- أن الرجلين لم يكونا سوى مهدي وعالية ملتفان بشالي الذي خدع عينيه الزوهريتين. لو كان وجدهما لما سمح لهما بالفرار بما يراه الشيخ طاهر جُرمًا في حق الزوهريين والجن وحتى السحرة.

عانق الحاج مدحت أسامة وبكى، ثم ابتسم لمهدي وعالية –بالطبع يراهما على هيئتهما الحقيقية- ثم مد يده يصافح المُلثّم، وتعلق كفه في الهواء.

حدق الرجلان إلى بعضهما. اقترب مدحت من الشيخ طاهر واتسعت عيناه حيرة. وقف الرجلان على الدرج الحجري دقائق يتبادلان النظرات، ثم همس مدحت بعدما تأكد أن أسامة قد ابتعد:

- زاهر؟ أخي؟

- مدحت. اشتقت لك.

- كيف.. لقد..

- لقد دفنتني ونزلت القبر معي. ثم في المساء اتصل بك حارس المقابر يخبرك أن القبر مفتوح وأنني لست بالداخل.

- حسبت.. حسبت أن أحدهم سرق جثمانك. لم أخبر سهير ورجاء كي لا ينفطر قلباهما.

- أنا لم أمت. زيفت موتي وهرّبني الجان. لم أعد أتحمل حياتي وأنا أخفي حقيقتي. عشت عمري أبعد عن سهير أي تفكير في مواهبها. لم أكن أريدها أن تتعذب مثلي. هذا عالم لم يُخلق لمن هم مثلنا يا أخي.

- و.. ولاشين.. وقبو منزل مهاب.. و..

- نعم، أنا. أنا أعيش الآن حياتي الثانية، كأنني مِتُّ ثم بُعثت من جديد. الشيخ طاهر ذو الكرامات. وعندما وجدت أنّ

وجودي في السيد البدوي قرب ابنتيّ سيفتن الناس، رحلت إلى الصحراء. لكني لا زلت زاهر، الذي لن يتحمل أن ينفطر قلب ابنتي على حفيدها.

- والآن؟

- أنت لم ترني. أنا الشيخ طاهر، ولن تراني مرة أخرى، فليس في العمر أكثر مما عشت. لا تخبر أحدًا يا أخي بلقائنا. أستودعك الله.

وقبل أن ينطق مدحت كلمة أخرى، اختفى الشيخ طاهر، أو الحاج زاهر ، ليعيش حياته الثانية كما قدرها له الله، وحيدًا، أعجوبة لن يقبلها عقل بشر.

***

تعقيب

أحدق إلى جبر، ويحدق جبر إليّ.

الوقت يمر.

- ماذا سيحدث يا آدم لو التهمتني ولم أذب في جسدك؟

- لن يحدث هذا.

-لنفترض يا أخي. دعنا نتسلّ.

- وما الذي يدفعك إلى هذا الافتراض؟

- إمم.. هل تعرف ماذا فعل شريف لأجلي أيضًا وهو لا يتذكر؟

- ماذا فعل؟

- قاعة الفاتيكان هذه يا أخي ملأى بالغرائب. لا أعرف لماذا يحتفظون فيها بتحفة مثل نصّ الإجزوسيا الذي معك، أو سمّ الشياطين الذي ابتكرته كائنات السماء أمثال مِهر. أنت رأيت تأثيره.

ندور حول بعضنا البعض في الحيز الضيق الذي يحتل جبر أغلبه. أساله:

- هذا السم معك، هه؟ تريد أن تسم أعداءك من الشياطين به. هنيئًا لك. لو أنني التهمتك بالسم الذي معك ستموت شياطيني وسأموت أنا وستموت بالتالي معي. هذا حل مقبول بالنسبة لي.

- خطأ يا آدم. ستموت شياطينك، ولن يشفوا جسدك من المس ويلتهموا طاقتي. السم لا يجدي مع الشياطين العُليا مثلي. وقتها سيكون جسدك فارغًا لأحتله أنا. أستحوذ عليه وأبحث عن شريف العزيز وأستنزف دمه. ما رأيك؟ هل ستجرب؟ تخيل ما يمكنني فعله بسهير.. ياه! سيظنني الجميع أنت. سأوقعها في حبي وسأمرح كثيرًا!

- عليك لعنة الله يا جبر! أين هذا السم.. أنت تكذب!

فتح جبر فمه ذا الأنياب المقوسة المتشابكة كالأشواك، لأرى قنينة بُنية داخل فجوة من فجوات سقف حلقة المُشوّه. يا للبشاعة.

اللعين..

- حسنًا. لن ألتهمك، لكني سأظل هنا معك حتى تتفكك.

ضحك جبر وهتف:

- وما فائدة السم إذًا؟! لقد أرسلت في طلبه خصيصًا لأجلك! اتركني يا لاشين ولن أجبرك على تجرع السم والسماح لي بالاستحواذ على جسدك. تعرف أنني قادر على هذا.

مرغمًا، أفك الرّصَد. أنا أعرف جيدًا متى أستسلم. أبتعد، ثم ألقي الساعة نحو جبر وقد ضبطتها على إقامة رصد جديد، فيختفي الشيطان من أمامي.

لا أعرف بالطبع ما يدور داخل الرصد، ولا يهمني هذا. جبر

بالداخل حتى تتعطل الساعة يومًا ما، وقتها سأكون قد وجدت ترياقًا للسم، أو طريقة لقتله.

أرحل عن قصر ديهيا، وأغلق بابه خلفي، ثم ألقي عليه رصدًا آخر بحزامها، وأبتعد بسيارتي.

***

وجدث سهير ورجاء أمامهما مائتي طفل ومراهق يتجسدون من الفراغ. صرخت رانيا وهي ترى شريف وسطهم. عانقته بقوة، والتفت أذرع سهير ورجاء حولهما.

أمامهم مهمة شاقة لإعادة الأطفال إلى ذويهم، لكن شريف عاد، وأسامة والحاج مدحت في الطريق.

لا أعرف أين ذهب مهدي وعالية، ربما أتتبع أثرهما لاحقًا، هما معتادان على حياة الهرب، ومعهما شالي يحميهما من الجن. أنا الآن متعب للغاية، مُنهَك، وحيد. أرتمي على فراشي وأفكر في ديهيا العجوز الوحيدة.

وفي أحلامي أراها جالسة مقيّدة على عرشها المُكعَب، يتجسد أمامها ذو الرمح، ويرمي نحوها كتابًا جلديًا أعرفه جيدًا، عهد الدجالين، ومعه رسالة مكتوب فيها بلغة الشياطين: «عهد جديد يا ديهيا، وبداية جديدة أقوى. إمضاء: الفيلَق.»

---

(2) الكتاب الحادي عشر- ابن الريح

(3) الكتاب الثاني عشر- الزوجة أول من يعلم

(4) الكتاب الثالث عشر- الضفدع

(5) الكتاب العاشر-نوم العصاري

(6) الكتاب الثالث- كاهنة الأوراس

(7) الكتاب الثامن- لعبة ناجورو

(8) يومها قابلت طفلة زوهرية يستنزف دمها بواسطة خدعة من موراخيا، واعدتها إلى أقرب مكان لمسكنها في القصر. التفاصيل في كتب كاهنة الأوراس (لاشين)